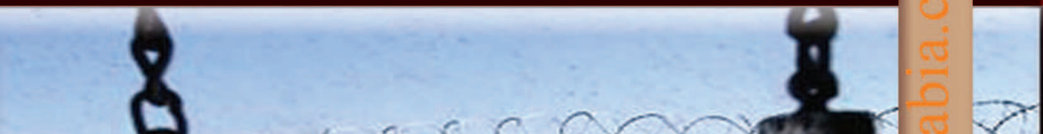
الحياة فى معتقل هايكستب و الطور



طه سعد عثمان

معتقل

هايكستب والطور

١٥ مايو ١٩٤٨ – فبراير ١٩٥٠

إعداد

مهندس/ طه سعد عثمان

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

المؤلف

- ولد بقرية الكوم الأحمر بني سويف في ١٩١٦/٢/١٢.
- حصل على دبلوم الفنون التطبيقية قسم النسيج ١٩٣٧.
- اشتغل في مصانع النسيج نساجا، وميكانيكي نسيج ورئيس مصنع.
- اشتغل مدرس ابتدائي، ومدرسا بالمدارس الثانوية الصناعية.
- ارتبط بالفكر الاشتراكي ١٩٤٢ واعتقل وسجن بسبب ذلك عدة مرات.
- رئيس النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكي بالقاهرة وضواحيها ١٩٣٨ وعضو مجلس إدارة حتى حلتها الحكومة ١٩٤٥.
- سكرتير تحرير مجلة شبرا ومجلة الضمير وهيئة تحرير صوت العامل .

- عضو نقابة المعلمـين ٤٧٢٧٣ وعضـو نقابـة المهندسين ١١٣٧٠
- مرشح العمال لعضوية مجلس الأمة ١٩٥٧ فـي دائرة شبرا الخيمة واعترض عليه الاتحاد القومي وضمن قائمة حزب التجمع ١٩٨٦.
- عضو لجنة الدفاع عن العمال في شـبرا الخيمـة وساهم وما زال في النشـاط العمـالي والنقـابي والسياسي في منظمات المجتمع المدني .
- عضو سكرتارية لجنة العمال للتحريـر القـومي (الهيئة السياسية للطبقة العاملـة) ١٩٤٥ واللجنـة الوطنية النقابية والعمالية بحلوان .
- عضو لجنة توثيق الحركة الشيوعية حتى ١٩٦٥.
- عضو لجنة تخليد ذكرى شهداء ومناضلي اليسـار المصري.

الإهداء

إلى أبنائي وبناتي الذين أحبهم أكثر من نفسي،

إلى أبناء الطبقة العاملة المصرية الذين رافقوني فـي الاعتقال، ولم يعتقلوا رغم استمرار نشاطهم،

إلى عائلة كل مكافح قاست مـن اعتقـالهم ومسـتقبل أبنائهم .

إلى النشطاء من قيادات الحركـة العماليـة والنقابيـة سياسيا واقتصاديا، والذين تحملوا مصادرة حرياتهم .

إلى القيادات الشابة الحاضرة والمستقبلة الذين يعملون على تحقيق حياة أفضل لكـل الكـادحين وإلغـاء اسـتغلال الإنسان للإنسان.

أقدم تجربتي في معتقلات هاكستب والطور أملاً في أن يجدوا فيها ما يستحق القراءة.

المهندس/ طه سعد عثمان

الفهرس

المقدمات

عندما انتهت الحرب العالمية الثانية في عـام ١٩٤٥، كانت جميع الدول العربية فيما عدا شبه الجزيـرة العربيـة يرزح تحت نير استعمار الدول الغربية له، فإذا نظرنا إلـى المشرق العربي وجدنا ليبيا قد احتلتها إنجلترا بعد أن طردت الاحتلال الإيطالي المهزوم في الحرب العالمية الثانية منها – وفرنسا تحتل سوريا ولبنان – وإنجلترا تحتل العراق وشرق الأردن وفلسطين، وأما قلب الوطن العربـي وهـو مصـر والسودان، فكانت تسيطر عليهما قوات الاحتلال الإنجليزي. وكان سير "مايلز لامبسون" السفير البريطاني في القاهرة هو الملك غير المتوج الذي تسري تعليماته وأوامره على جهـاز السلطة بأكمله بما فيه الملك فاروق، وأما دول الخليج العربي فكانت مستعمرات للغرب أيضا.

وكان من الطبيعي أن تتطلع الشـعوب العربيـة إلـى الحصول على الحرية والاستقلال تنفيـذا لوعـود وعهـود الحلفاء أثناء الحرب.. وبدأت بالفعل حركة وطنية قوية فـي كل الدول الواقعة تحت نير الاستعمار الغربـي فـي تربـة خصبتها الأفكار الاشتراكية، مما جعل الحركة الوطنية تأخذ

بعدا اجتماعيا متطلعا إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، والقضاء على الثالوث الرهيب الذي كان ثمرة الحنظل للاستعمار وهو الفقر والجهل والمرض، ومع توسع وانتشار الأفكار والدراسات الاشتراكية، وخاصة بين العمال والطلبة والمثقفين. لبست الحركة الوطنية ثوبا جديدا عبرت عنه البرامج والشعارات وهتافات المظاهرات والنشرات التي لاقت رواجا كبيرا.. واستمر المد الثوري الوطني في تصاعد مستمر ضد الاستعمار. مع تصاعد في نفس الوقت في الصراع الاجتماعي، فبينما كانت الحركة الوطنية في مصر تتقدم لتزلزل أعمدة الاستعمار البريطاني، وتفشل كل المحاولات التي بذلتها الرجعية المحلية لربط مصر بعجلة الاستعمار إلى الأبد، فأسقطت معاهدات صدقي بيفن وخشية كامبل ولم تجد كل وسائل العنف والقسوة التي قوبلت بها الحركة الوطنية، سواء من الإنجليز في مذابح ميدان الإسماعيلية -التحرير الآن- وشوارع القاهرة وفى الإسكندرية- أو من حكام مصر بمذبحة كوبري عباس وحملة إسماعيل صدقي في ١١ يوليو ١٩٤٦ ضد الوطنيين والديمقراطيين تحت ستار مكافحة الشيوعية. لم يفلح كل ذلك

في إخماد جذور الكفاح الوطني بل زاده اشتعالا، وأما الملك فاروق الذي كان يقف على قمة هرم المستغلين فقد ديست صورته بالأقدام في جامعة القاهرة، وسارت المظاهرات في الشوارع تهتف ضده وضد ما يمثله من رجعية وتعاون مع الاستعمار.

وبينما كان ذلك يحدث في مصر كان نوري السعيد والأمير عبد الله في العراق يعلق الوطنيين على المشانق على أبواب وزارة الدفاع العراقية ويستخدم منتهى القسوة في مواجهة الحركة الوطنية في العراق الصاعدة ضد الاحتلال الإنجليزي وأعوانه من الرجعيين المحليين، كما كان الملك عبد الله في شرق الأردن والحاكم الحقيقي الإنجليزي – الجنرال جلوب – يستعينان بالبدو الأميين الذين لم يروا في حياتهم غير القبلية لمقاومة الحركة الوطنية الأردنية، مستغلا بداوتهم وسذاجتهم، ومستعينا بالمال الإنجليزي والوسائل غير الشريفة ليجعل من هؤلاء البدو قبضة نحاسية تبطش بمواطنيهم الوطنيين، أما في سوريا ولبنان، فكانت المواجهة بين الحركة الوطنية والاستعمار الفرنسي الذي قابلها بوحشية هي السائدة في كل تصرفاته مع حركة الكفاح الوطني.

وقد أدى استمرار الحركة الوطنية العربية وتصاعدها إلى استقلال سوريا ولبنان، كما اضطر الإنجليز إلى الجلاء عن المدن المصرية وخاصة القاهرة والإسكندرية، وتركيز قوات احتلالهم في منطقة قناة السويس، وقد تم الجلاء فعلا وأصبحت المدن المصرية خالية من جنود الاحتلال.

ومع زيادة أسعار المواد الضرورية وتعمق الصراع الاجتماعي، بدأت طوائف الشعب المصري المختلفة تطالب بتحسين ظروف معيشتها. ثم تحولت المطالبة اللينة عن طريق الشكاوى والعرائض، إلى استخدام سلاح الطبقة العاملة وهو الإضراب، فشهدت مصر إضرابات للمدرسين والمهندسين والممرضين، وموظفي مختلف المصالح الحكومية؛ كالتلغراف والسكك الحديدية. وكانت قمة ذلك كله هو الإضراب الذي قام به ضباط البوليس في شهر إبريل ٩٤٨ والذي هز أركان النظام هزة عنيفة. (بعض التفاصيل في كتاب – الإضرابات في مصر زمن الأربعينيات) ثم تطورت الحركة الوطنية العربية إلى بعد جديد تعاطفت فيه أجزاؤها بعضها مع بعض، فرأينا المظاهرات تسير في مصر تأييدا لسوريا ولبنان، ورأينا عمال مصر يؤيدون عمال

السودان في إضرابهم، ويحتجون على تعسف إدارة السودان معهم، ورأينا عمال مصر يتدخلون مع السـلطات اللبنانيـة للسماح لمصطفى العريس رئيس اتحاد عمال لبنان بالسـفر لتمثيل عمال الشرق الأدنى في اللجنـة التنفيذيـة للاتحـاد العالمي للنقابات، وينجح مسعاهم. ورأينا المثقفين في سوريا ولبنان يؤيدون الحركة الوطنية المصرية ويحتجـون علـى اعتقال الوطنيين والديمقراطيين المصريين، ورأينـا ممثلـي عمال مصر وسوريا ولبنان وفلسطين يتكاتفون في بـاريس لإبعاد لوكر الصهيوني ممثل الهستدروت عن مركز تمثيـل عمال الشرقيين؛ الأدنى والأوسط في اللجنة التنفيذية للاتحاد العالمي للنقابات، وينجحون بمساعده عمال كثير من الـبلاد الأخرى وخاصة ممثلي عمال الدول الاشتراكية في تحقيـق ذلك.

أما بالنسبة لفلسطين التـي كانـت تحـت الانتـداب البريطاني، والتي كانت قد فتحت أبوابها منذ وعـد بلفـور المشئوم لهجرة العنصريين الصهيونيين إليها من مختلف بقاع الأرض؛ ليستولوا على الأرض ومسـاكن العـرب، تـارة بالإغراء والمادة والتحايل والوسائل غير الشـريفة، وتـارة

بالإرهاب والبطش والقتل. وأبشع الجرائم التي قامـت بهـا عصابات أشتيرن وأرجون غيرها بمساعدة قوات الانتـداب الإنجليزي التي لم تسلم من أن تعلق العصـابات ضـباطها وجنودها مشنوقين في فروع الأشجار، ولكن الأسد البريطاني العجوز الذي خرج من الحرب مثخنـا بـالجراح، ومـثقلا بالديون وخائر القوى، والذي كان يطمع في أن يحتفظ بملكه المنهار الذي تهدده جحافل الحركة الوطنية العربية الزاحفة، رأى في زرع التعصب العنصري الصهيوني فـي الـوطن العربي وبطريقة تقطع أوصال أرضه وتكـون حـائلا دون الاتصال البري بين مصر – قلب العروبة النـابض– بكـل إمكانياتها البشرية والاقتصادية والحضارية، وبـين أجـزاء المشرق العربي الأخرى؛ سوريا ولبنان والعـراق وشـرق الأردن ثم ما يتبقى من فلسطين.

وقد استعانت بريطانيا بأمريكا التي خرجت من الحرب بخسائر لا تذكر، والتي احتفظت بثروتها التي لم تعصف بها يد التدمير، والتي كانت بوضعها هذا تتطلع إلـى الاسـتيلاء على كل تركة الاستعمار البريطاني والفرنسي وخاصة فـي العالم العربي، وساعد على اندفاع أمريكـا وحماسـها فـي

الوطن العربي تلك السيطرة التي يتمتع بها كبار رجال المال من اليهود والصهيونيين في أمريكا – ووجدت إنجلترا أيضا في الحكام الرجعيين العرب الـذين كـانوا يتعـاونون مـع الاستعمار في استغلال شعوبهم مكتفين بفتات المائدة، والذين رأوا أن المضمون الاجتماعي الذي اكتسبته نفسه، خاصة بعد أن رفعت شعارات النظام الجمهوري وتحديد وجودهم نفسه، خاصة بعد أن رفعت شعارات النظام الجمهـوري وتحديـد الملكية الزراعية، وتأميم المرافق والاحتكارات، بل وطرحت شعارات الأرض لمن يفلحها، ومن لا يعمل لا يأكل.

وهنا برز إلى الوجود حلف غير معلن تقوده وتحركه بريطانيا، وتسانده أمريكا والصهيونية العالمية وتتعلق بأذياله الرجعية العربية والحكام ذوي الأسماء العربية، وهكذا دبرت بليل جريمة نفذت في ١٥ مايو ١٩٤٨، فحققت عدة أهـداف لأركان التآمر إذا أعلنت إسرائيل. ودخلت الجيوش العربيـة أرض فلسطين باسم الدفاع عنها، فتعرضت لهـزائم دبرهـا قادتها، وأعلنت الأحكام العرفية في كل البلاد لتتخذ وسـيلة لضرب الحركة الوطنية وتصـفيتها، واسـتخدمت الأسـلحة

الفاسدة لتحقيق الأرباح بالملايين. ولقتل المخلصين الوطنيين من الضباط والجنود العرب.

وهكذا باسم الوحدة العربية، وباسم الدفاع عن فلسطين، أعلنت الأحكام العرفية في بلاد المشـرق العربـي ومصـر وفتحت المعتقلات ليزج فيها بكل الـوطنيين والـديمقراطيين وأعداء الاستعمار. ولكي تحدث موجة جذر عنيفة في حركة الكفاح الوطني، ولكي يتمكن الاسـتعمار مـن زرع الخليـة السرطانية العنصرية في قلب الوطن العربـي (إسـرائيل). وليمهد الطريق لعقد معاهداته وتحالفاته التي يربط بها حركة سير الدول العربية إلى ذيل الاستعمار ليسخرها في تحقيـق أطماعه في استغلال الشعوب وسرقة ثرواتهـا ومواردهـا الخام، والإبقاء عليها سوقا لتصريف مصـنوعاته ومعالجـة أزماته المتكررة المتصاعدة.

شبرا الخيمة ١٩٥٢ **مهندس/ طه سعد عثمان**

معتقل هاكستب والطور
١٩٤٨ -١٩٥٠

* إعلان الأحكام العرفية:

في ضوء كل ما تقدم ذكـره مـن ظـروف سياسـية واقتصادية واجتماعية ونضالية يمر بها الشعب المصـري. وفى ضوء تحقيق ما أردت قوى الاستعمار والرجعية تحقيقه من إصابة المد الثوري الوطني بضربة إجهاض. وفى ضوء التعاون الوثيق بين الاستعمار البريطاني وجميـع السـلطات الرجعية الحاكمة في البلاد العربية، تقرر أن تدخل الجيـوش العربية إلى فلسطين بمجرد إعلان انتهاء الانتداب البريطاني عليها. لا يهدف تحقيق استقلالها وتحريرها من سيطرة كـل القوى الاستعمارية والصـهيونية كمـا أعلنـت الحكومـات الرجعية العربية، ولكن لاتخاذ ذلك ذريعـة لضـرب المـد الوطني الثوري الصاعد في كل البلاد العربية.

وتنفيذًا للمخطط السابق الاتفاق عليه، أعلنت فـي ١٤ مايو سنة ٩٤٨ مراسيم إعلان عسكريا. وبدأ تطبيق ذلك في منتصف ليل ١٤ مايو وفى نفس الوقـت أعلنـت الأحكـام العرفية في سوريا والعراق ومملكة شرق الأردن – وطبقـا للمخطط السابق أعداده أيضا- وطبقا للكشوف التي سبق أن أعدها البوليس السياسي بأسماء من تقرر اعتقالهم بمجرد نفاذ قانون الأحكام العرفية، قام البوليس بالقبض على عدد كبيـر من الوطنيين الذين كان لهم دور كبير في الحركة الوطنية في الفترة السابقة – والذين ظهر دورهم القيادي في المظاهرات والإضرابات والتحركات الجماهيرية، وقد شملت الاعتقـال عمالا وطلبة ومثقفين وموظفين وحرفيين، وقد كـان بيـنهم أيضا عدد من الوفديين. كما اعتقل عدد من اليهود المعروفين بصهيونيتهم، وعدد آخر من اليهـود المعـروفين بعـدائهم للصهيونية وخصصت لهؤلاء أماكن للاعتقال في معسكرات القوات الإنجليزية والأمريكية السابقة في منطقة هاكستب في الصحراء المتاخمة لشمال القاهرة. ونشـرت الصـحف أن الحاكم العسكري لمنطقة القاهرة قد أصدر أمره باعتقال شبان وفتيات من المشتغلين بالشيوعية – فاعتقلوا وأرسـلوا إلـى

المعتقلات، وفى نفس الوقت كانت هناك حملة أخرى تجري في الإسكندرية على نفس المستوى، وبنفس نوعية المواطنين التي جرت في القاهرة وأعلن أيضا أنهم مـن الصـهيونيين والمعروفين بميولهم الشيوعية وأرسلوا إلى المعتقل في أبـي قير.

كنت –وقتئذ- مدرسا بمدرسة الإسماعيلية الابتدائيـة للبنين بشارع شبرا بالقاهرة، وكان نشاطي في منطقة شـبرا الخيمة قد توقف تماما وانتقل إلى القاهرة في أعمال لها صفة السرية، ولعل ذلك قد أبعد اسمي من القوائم الأولى للمطلوب اعتقالهم، فظللت حرا وظللت أمارس عملي فـي المدرسـة كالمعتاد، وحرصت على ألا أعود إلى مسكني في شبرا البلد إلا في نفس المواعيد التي كنت أعود فيها من قبل. وبـدأت أعرف -شيئًا فشيئًا- أسماء المعتقلين والـذين تمكنـوا مـن الهرب قبل اعتقالهم من زملائي العمال، ومـن المثقفـين أو الطلبة أو الموظفين الذين عرفتهم من خلال كفـاح الشـارع المصري والعمل السري في منظمة طليعة العمال الماركسية المصرية.

ومع نهاية الأسبوع الأول من إعلان الأحكام العرفيـة كان عدد من سبق هروبهم قد اعتقلوا وهم الغالبية العظمـى من الهاربين، وكانت رقابة البوليس السياسي قد خفـت ممـا سمح بلقائي مع من لم يعتقلوا سواء منهم من كـان نشـاطه العلني السابق يجعله تحت ملاحقة البوليس. أو من لم يكـن يرى فيه البوليس من الخطورة ما يدعوه إلى اعتقاله، وتمت عدة لقاءات فردية بيني وبين بعض الزملاء ثم عقـدنا عـدة اجتماعات لدراسة الموقف تقرر على أثرها تكليف كل منهـا بعدة مهام وكان على أن أجد صلة بالزملاء في داخل المعتقل وفعلا بالتعاون مع بعض الأصدقاء، وفتى لا يتجـاوز سـنة الرابعة عشرة وقتئذ من أسرة المدرك اسمه كمـال وجـدت طريقة للاتصال عن طريق بعض المترددين على المعتقـل سواء للحراسة أو الخدمات، واسـتطعنا أن نحـرص علـى بعض قنوات الاتصال مفتوحة رغم سقوط بعض الحلقات في يد البوليس، الأمر الذي دفع النقراشي إلـى إصـدار أمـر عسكري بحظر الاتصـال بـالمعتقلين ومعاقبـة المخـالفين

بالحبس والغرامة[1] وقد داومنا على استخدام قناة الاتصـال التي كانت تصب في البوليس السياسي، ولكننا كنا نسلم إليها رسائل مضللة كلها خطابات من بعـض العـائلات بالحـب والهيام من الزوجات، والحـزن والأسـى مـن الأمهـات والأخوات. وكانت قناة الاتصال طويلة ومعقدة تبدأ بموظف مرموق في سراي عابدين الملكية، مما حمانا حتى من مجرد شك البوليس في المتصلين به، ورغم أننـا كنـا مجموعـة صغيرة فقد استطعنا أن نطبع على البالوظة وبطريقة بدائيـة عدة آلاف المنشورات، وقمنا بتوزيعها بعضها باليد وبعضها بالبريد وكانت كلها تدور حول فضح أهداف الحكومـة مـن اعتقال الوطنيين ودعوة الجماهير للمطالبة بـالإفراج عـن المعتقلين الوطنيين المصريين.

وفى نفس الوقت كان المعتقلون في الداخل قد نظمـوا صفوفهم وبدءوا في تشديد المطالبة بالإفراج عنهم، وإلى أن يتم ذلك فقد طالبوا بتحسين ظروف الحيـاة فـي المعتقـل، وتحمل الحكومة لنفقات إعاشة أسر المعتقلين. وبعد شهر من

---

[1] صوت الأمة ١٩٤٨/٦/٥.

بدء الاعتقال وبالتحديد في ١٥ يونيه ١٩٤٨ قام المعتقلـون جميعهم بالإضراب عن الطعام وكنا في خارج المعتقـل قـد طبعنا منشورا للإعلان عن الإضراب، وزع علـى نطـاق واسع وأرسل إلى الصحف وجميع سفارات الدول الأجنبيـة وأعضاء مجلسي النواب والشيوخ، وعدد كبير من السياسيين المعروفين. وفى نفس الوقت وجهنا السـيدات مـن أمهـات وزوجات وأخوات وبنات المعتقلين إلى الذهاب إلـى وزارة الداخلية والصحف، ورياسة مجلس الوزراء للمطالبة بالإفراج عن المعتقلين وتقديم الشكاوى والعرائض. ونتيجة للاتصـال المستمر والتعاون الكامل بين خارج المعتقل وداخلـه نجـح الإضراب بعد ثمانية أيام؛ إذ تقرر صرف كفالة لعائلة كـل معتقل قدرهما خمسة جنيهات[١] شهريا زيدت بعد ذلك إلـى ستة جنيهات وتحسين التغذية والسماح بالزيارات. وبعد ذلك صرفت لكل معتقل علبة من عشرة سجاير كل يوم. وتمتـع المعتقلون بعد ذلك بكثير من حريـة الحركـة والتصـرف والقراءة والكلام والتشاور وبحريات كـان الشـعب خـارج

---

[١] من مذكرات عبد العليم عمارة ص ١٠٣.

المعتقل محروما منها. ولم يكن كدر الحياة إلا محصورا في فقد كثير من العائلات لمورد رزقهم وهـو أجـر عـائليهم وخاصة العمال. وأيضا في تلك الأعمدة الحديدية المربوطـة فيها أسلاك شائكة كان ممنوعا على المعتقلين تخطيها.

وبعد أن هدأت الحالة بعد العدول عن الإضراب عـن الطعام، بدأت إدارة المعتقل في اتخـاذ بعـض الإجـراءات لمضايقة المعتقلين كان أقواها قرار بأن تتم زيارة العـائلات للمعتقلين في عنبر الإدارة ولمدة نصف ساعة فقـد بعـد أن كانت الزيارة تتم في داخل عنبر الاعتقـال وتسـتمر مـن التاسعة صباحا إلى ما بعد العصر. وكان المعتقلون يستقبلون الزوار بالأناشيد الوطنية الحماسية ويتناولون معهم الطعـام ويودعونهم بالأناشيد أيضا – فقرر المعتقلون رفـض هـذا القرار.

المعركة مع البوليس السياسي:

وبينما كانت إحدى الزائرات تمر بعنبر المعتقلين فـي طريقها إلى عنبر الإدارة قام بعـض المعتقلـين باختطافهـا وإدخالها العنبر بالقوة. وما أن علم قوامندان المعتقـل عبـد

الحفيظ أبو ستيت بذلك حتى سارع بإرسـال أحـد ضـباطه يطلب الزائرة، فرفض المعتقلون تسـليمها إلا فـي موعـد الزيارة المتبع من قبل. وقد حاول بعض المعتقلـين مناقشـة الأمر بالتعقل والروية، مشيرا إلى وضع المعتقلين وما تملكه الإدارة من وسائل لا قبل لهم بمواجهتها.

وكان من بين هؤلاء عامل النسيج يوسـف عـراق، فرماه المتحمسون بالجبن والذعر والخوف، وبدأ المعتقلـون تحت تأثير الانفعال الحماسي أو الحماس الانفعالي بالاستعداد للمعركة التي توقعوها، وذلك بغلق الأبـواب والنوافـذ فـي العنبر ووضع حوامل السراير خلفها كتمـاريس واسـتعدوا بزجاجات مملوءة بالرمل.

وجاء اللواء سليم زكي بجنوده وضباطه وبدأ فورا في الهجوم على عنبر المعتقلين، ورغم أن المعركة كانت غيـر متكافئة من جميع النواحي، إلا أنها أسفرت عن إصـابة ١٩ عسكري بوليس، وأصيب أضعافهم مـن المعتقلـين وكـان بعضهم إصابتهم خطيرة، منهم عبد الجواد عبد النبي الـذي أصيب بطلق ناري في يده، وعبد العليم عمـارة ومحمـود العسكري اللذين أشرفا على الموت. وبعد أن قامـت القـوة

بإخراج الزائرة [1] سحبت السراير لينـام المعتقلـون علـى الأرض عقابا لهم على التمرد الذي قاموا به.

*** دخول المعتقل:**

ألقيت على عاتقي مسئوليات كثيرة أدت إلـى زيـادة تحركاتي. وتعددت مقابلاتي لعائلات المعتقلـين وللـزملاء وكثرت المنشورات التي كانت توزع رغـم امتنـاعي عـن الاشتراك الفعلي في طبعها؛ حتى لا ينكشف مكـان طبعهـا الذي كان في منزل أحد الوطنيين في حي القلعة، وبعـد أن لاحظت رقابة البوليس على تحركاتي لم أستطع التخفيف من تلك التحركات كمسئولية وفى يوم ١١ نوفمبر ١٩٤٨ بينمـا كنت عائدا إلى منزلي. وعند كوبري الرياح الـذي يفصـل القاهرة عن شبرا الخيمة وجدت اليوزباشـي أحمـد نجيـب مرتضى والمخبرين سيد بدر ومحمد حسين وهما من رجال البوليس السياسي المخصصين للعمال، وقد أحاطوا بي، ثـم أدخلوني نقطة بوليس الرياح، وألححت عليهم أن يذهبوا بـي إلى منزلي لتفتيشه، فرفضوا ولم يقوموا حتى بتفتيش ملابسي

---

[1] من مذكرات عبد العليم عمارة ص ١٠٥/١٠٦.

كما كنت أتوقع، ونقلت في نفس اليوم، وبعد اتصـال بـين الضابط ورؤسائه، إلى قسم شبرا حيث ووضعت في غرفـة وحدي، وضعت عليها حراسة خاصة علـى بابهـا وعلـى نافذتها من الخارج، وبقيت فيها يومين رفضت خلالها استلام الطعام الذي كان يقدم لي وهو الخبز [الحاف].

ورغم أني كنت أعلم أني في طريقي إلى المعتقل، إلا أني داومت التخبيط على باب غرفة الحجز بحذائي مطالبـا بإحالتي إلى النيابة إن كانت هناك جريمة أو الإفراج عنـي. وعند ظهور ضوء صباح اليوم التـالي وجـدت الحـارس الواقف أمام نافذة الغرفة يناديني باسمي، ودار بيننا حـديث عرفت منه أنه كان عامل نسيج ثم جند. وبعد أن تأكدت من تذكري له قصصت عليه قصتي، وطلبـت منـه أن يخبـر أسرتي بمكاني. وفى نوبة حراسته في اليوم التالي وقبل نقلي إلى المعتقل بساعات عرفني بأنه قد أرسل أخته إلى منزلـي فأخبرت زوجتي كما أرسلها أيضا إلى بعض زملائنا عمـال النسيج فأخبرتهم، وأنهم بدورهم أرسلوا تلغرافـات احتجـاج ومطالبة بالإفراج عني عن طريق وباسم زوجتي. واعتـذر

بأنه لم يذهب بنفسه للقيام بذلك؛ لأنه شعر أنه مراقب خاصة وأنه من قوات بلوكات النظام وليس من قوة بوليس شبرا.

وصلت إلى معتقل هاكستيب في عصر اليوم الثالـث لاعتقالي فاستقبلني الزملاء بمظاهرة ترحيب اشـترك فيهـا الجميع، من يعرفني ومن لم يعرفني وجهزوا لي مكان نومي بين مجموعة من عمال النسيج بشبرا الخيمـة – وأشـرف بعض طلبة كلية الطب على تدرجي فـي التغذيـة بعـد أن عرفوا بامتناعي عن الأكل ثلاثة أيام كاملة.

الحياة داخل معتقل هاكستيب:

بعد أقل من أسبوع كنت قد ألممت بكـل شـيء فـي المعتقل وسوف أحاول هنا وفق ما تعيه الذاكرة وما أمكننـي تجميعه من الزملاء الذين عاصروني وعاصرتهم فـي تلـك الفترة والذين كان لهم فضل كبير في تـذكر وتجميـع مـا سأقدمه هنا.

- **مكان المعتقل:**

كان المعتقل كله يقع في مكان ومباني كانـت لأحـد معسكرات الجيش الأمريكي بـ (هاكستيب) أثنـاء الحـرب

العالمية الثانية، ويتكون من عدة عنابر كل منها عبارة عـن بناء من دور واحد على شكل حرف T وسقفه مـن الصـاج وليست به أية قواطع أو فواصل أو أبواب في داخله ماعـدا غرفة الضابط الخاص بالعنبر، وحوله سور مـن الأسـلاك الشائكة عليها حراس في الأركان الأربعة عدا حراس البوابة وبين السور، والعنبر مسافة لملاعب الأركان الأربعة عـدا حراس البوابة، وبين السور والعنبر مسافة لملاعب الرياضة وكذلك لأحواض زرعها المعتقلون ببعض النباتات والزهور وعباد الشمس. وفى داخل العنبر وجدت سريرا لكل معتقـل من سراير الجنود في المعسكرات عبارة عـن ألـواح مـن الخشب موضوعة على حاملين من الحديد، وعلى ما أذكـر فإن هذه كانت أول مرة في تاريخ مصر يوجد معتقل يضـم هذا العدد الكبير من نوعيات ذات أفكار ومعتقـدات مختلفـة ومن معتقل يضم هذا العدد الكبير من نوعيـات ذات أفكـار ومعتقدات مختلفة ومن بيئات اجتماعية مختلفة، بـل ومـن جنسيات مختلفة أيضا. وقد خصصت الحكومة عنبرا أو أكثر لكل نوعية حسب عددها وحرصت على إلا يـتم الاخـتلاط الكامل بينها خوفا من أن يؤدي النقاش والحوار بيـنهم إلـى

توحيد مواقفهم ضد إدارة المعتقل والحكومة، بالإضافة إلـى الخوف من انضمام بعض المعتقلين الذين دخلوا المعتقل دون ارتباط سابق بعقدية وهم كثيرون، خوفا من انضمام هـؤلاء إلى الشيوعيين والوطنيين الديمقراطيين. الذين كانت الحكومة ترى أن لديهم مقدرة كبيرة على الإقناع.

وفى نفس الوقت كانت الحكومة حريصة على إبعـاد العمال والطلبة الذين لديهم خبرة في العمليات الكفاحية سواء في الميدان النقابي أو الميدان الوطني عن الاختلاط بالمعتقلين الآخرين؛ خشية انتقال عدوى الفكر والعمل الكفاحي إلى بقية المعتقلين.

نوعيات المعتقلين:

كان المعتقل بشكل عام يضم عنبرا للإدارة به مكاتـب إدارة المعتقل بكل توابعها، وبجواره ملحق اتخذته الحكومـة معتقلا لليهود والصهيونيين، وآخر كان لبعض قادة الإخوان المسلمين. وكانت هناك عنابر أو عنبر -لا أدري- به عـدد كبير من الإخوان الذين اعتقلتهم الحكومة بعد خلافها معهـم وبعد خوفها من أن يفلت منها زمامهم بالنسـبة لاسـتمرار

اشتراكهم في حرب فلسـطين بشـكل أكثـر ممـا حددتـه الحكومات الرجعية. وكان هناك كذلك بعض أعضاء مصـر الفتاة وبهذه المناسبة فقد ذكر عبد العليم عمارة في مذكراتـه عن الفترة التي سبقت دخولي إلى المعتقل – أن جماعة مـن الإخوان المسلمين وأعضاء مصر الفتاة قد حاولوا مهاجمـة عنبر الشيوعيين لقتل أكبر عدد منهم باعتبارهم كفرة وقتلهم يقرب القاتل من الله، ويدخله الجنة ولكن تدخل إدارة المعتقل خوفا من العواقب منع نجاح هذه المحاولة خاصة، وأن كـل الموجودين في عنبر الشيوعيين كانوا قد علموا بـأمر هـذه المحاولة واستعدوا للمقاومة دفاعا عن أنفسهم وحياتهم، وأما عنبر الشيوعيين كما كان يسمى، والذي أقمت فيه طوال فترة وجودي في معتقل هاكستيب، فإنه كان يضم عددا من الطلبة والعمال والمثقفين والحرفيين وكان جزء كبير مـن هـؤلاء سبق ارتباطهم بالمنظمات الشيوعية قبل اعتقالهم، وأسـتطيع أن أقول إن عنبر المعتقلين الشيوعيين في هاكستيب كان فيه النوعيات الآتية.

١- المرتبطون بالحركة الديمقراطية للتحـرر الـوطني "حدتو" وهى المنظمة التي تكونت قبل ذلك بفتـرة

قليلة من اندماج منظمتي الحركة المصرية للتحرر الوطني وأسكرا أو الشرارة .

٢- المرتبطون بالعمالية الثورية "ع ث" وهي المنظمـة التي انقسمت على حدتو بعد تكوينها لخلاف بـين من كونوها وبين قيادة حـدتو الأم حـول بعـض المسائل التي لا أستطيع الحديث عنها بالدقة التـي أتوخاها لأني لم أكن عليما ببواطن أمورهما.

مجموعة من عمال النسيج الميكـانيكي أطلقـوا علـى أنفسهم اسم "نحن" وكانوا وثيقي الصلة بعضهم بـبعض قبل دخولهم المعتقل. وبعضهم كانوا مرتبطـا بمنظمـة طليعة العمال وهى التي كانت مشهورة باسـم منظمـة الفجر الجديد، وهنا لا بد من الإشارة علـى أن بعـض عمال النسيج .

٣- الميكانيكي كانوا مرتبطين بالمنظمـات الشـيوعية الأخرى أو يعيشون مع الشراذم.

٤- الشراذم وهم أفـراد لا صـلة بيـنهم ولا بعضـهم ببعض. ولا صلة لهم بإحدى التنظيمـات السـابق ذكرها وكان بعض أفرادهـا مـن الشـهور لهـم

بالنزاهة وسلامة التصرف رغم رفضهم الارتبـاط بأي تنظيم. وبعضهم كانت تحوم حولهم شـبهات العمل مع البوليس السياسي – وكان هناك أفـراد قلائل مرتبطون بإحـدى المجموعـات، ولكـنهم يعلنون عدم الارتباط التنظيمي بـدعوى الأمـان وعدم كشف أنفسهم.

الحياة العامة:

عندما وصلت المعتقل وجدت لجنة عامة من المعتقلين وعلمت أنهم قد انتخبوا أعضاءها كممثلين لكل المجموعـات في العنبر. وأن هذه اللجنة قد فوضت مـن قِبـل النـاخبين بالإشراف على كل ما يتعلق بالحياة اليومية للمعتقلين. وقصد بتحديد عموميتها عدم تدخلها بأية صورة من الصـور فـي النواحي السياسية أو العقائدية، وحددت الجمعيـة العموميـة للمعتقلين اختصاصات هذه اللجنة وحدود تصرفاتها فيما يلي:

١ - الطعام:

كانت اللجنة العامة هي التي تتسلم الطعام من المتعهـد وهى التي تطلب الأصناف التي يريـدها المعتقلـون

وتحاسبه على الكميات في حدود المبالغ المخصصـة للمعتقلين في العنبر وفي سبيل نظافة الطعام وسـلامته اتفقت اللجنة العامة مـع المتعهـد علـى أن يتـولى المعتقلون طهي الطعام وتوزيعـه. وكانـت عمليـات الخدمة، فإعداد الطعـام توزيعـه وغسـل الأوانـي وتجهيزها يتم بالتناوب بين كل المعتقلين فـي حـدود النظام الذي أعدته اللجنة العامة، فكان هناك في كـل يوم من يتولى تجهيز الخضار أو تنقية الأرز أو غسل الأواني، سواء للمطبخ أو لأكل المعتقلين ومن يـوزع الأكل، ومن يعمل الشاي ويوزعه إلى غير ذلك. ولـم يكن يستثني من العمل في هذه الخدمات إلا المرضـى الذين توافق اللجنة العامة على إعفائهم بعـد الاقتنـاع بذلك وللفترة التي تحددها.

٢- تنظيم الوقت:

حددت اللجنة العامة بداية يـوم المعتقلـين بطـابور اختياري للرياضة والألعاب السـويدية، وبعـد فتـرة قصيرة يكون الإفطار للجميع وفى وقت واحـد يتلـوه قراءة أهم أخبـار وموضـوعات الصـحف اليوميـة

والمجلات الأسبوعية من أحد المعتقلين على كل من يريد أن يسمع تعقبها فترة قراءة حرة للصحف أو الكتب أو التثقيف الذاتي يوزع خلالها شاي الصباح. وفى حوالي الساعة الثانية بعد الظهر يكون طعام الغذاء ثم يوزع العشاء في موعد مناسب. وفى الساعة العاشرة مساء تبدأ فترة النوم للجميع على أصوات موسيقى هادئة تنبعث من اسطوانات، ومن أراد أن يقرأ فليعد أباجورة لا يؤذى ضوؤها جارة بل يقتصر عليه وحده.

٣- الاتصال بالإدارة:

كانت اللجنة العامة هي المفوضة في الاتصال بإدارة المعتقل وجميع الجهات فيما يتعلق بالمعتقلين في العنبر فهي التي تقدم إليها مطالب المعتقلين وتتفاوض فيها. وهى التي تنظم الخطابات من والي المعتقلين وتشرف على تنظيم الزيارات، وكانت هي المتحدث باسمهم وقراراتها نافذة عليهم. وكانت اللجنة العامة في نفس الوقت ترجع إلى الجمعية العمومية للمعتقلين في

المسائل الرئيسة والهامة لتحدد الإطار الذي تتصـرف اللجنة العامة في حدوده.

٤- تهيئة الظروف:

هيأت اللجنة العامة الظروف لمباشـرة المجموعـات المختلفة كل لنشاطه الخاص سواء كان سياسيا أو ثقافيا دون تعطيل أو معاكسات وفى نفس الوقت دون طغيان على حق الآخرين. ولتحقيق ذلك سمحت اللجنة العامة بإقامة غرف في داخل العنبر حوائطها من البطـاطين لممارسـته النشـاط الخـاص. وخاصـة السياسـي والتنظيمي.

٥- المساعدات:

استطاعت اللجنة العامة عن طريق الاتفاق مع المتعهد على استبدال بعض الأصناف أو الكميات الواردة فـي قائمة طعام المعتقل المتفق عليها بينـه وبـين وزارة الداخلية بأصـناف أخـرى مـن الطعـام أو غيـره، استطاعت اللجنة العامة عن هذا الطريـق أن تـوفر بعض الأطعمة غير القابلة للتلاف السريع؛ مثل علـب اللبن "نستلة" والجبن والحلاوة الطحينية والخبز الفينو

والمجفف، وبكميات لا بأس بها مما كان يفيض عـن حاجة المعتقلين. وكانت اللجنة العامة تقوم بتوزيع هذه الكميات على الأسر المحتاجة وخاصة أسـر العمـال أثناء حضورهم للزيارة وبعد أن تنـازل كـل غيـر المحتاجين من طلبة ومثقفين وموظفين عن أنصـبتهم فيها.

*** الحياة الثقافية:**

أقول "الحياة الثقافية" لأن الثقافة شغلت جانبـا أساسـيا ومنتظما ومستمرا من حياة المعتقلين بشكل أبعد الملل وأشعر المعتقلين بعدم إهدار وقتهم، وبـأنهم بالفعـل يستفيدون من وقت المعتقل. وكانـت هنـاك طـرق ووسائل عدة استخدمت للثقافة في المعتقل منها:-

١- الصحف:

حيث يقوم أحـد المعتقلـين بقـراءة أهـم الأخبـار والموضوعات في الصحف ثم يتم التعليق على الأخبار، ثـم تتم مناقشة في الموضوعات والأخبار السياسية والاقتصـادية ثم يعقب ذلك قراءة فردية لمن يريد.

٢- الترجمة:

قام عدد من المثقفين من الموظفين ومعيدي الجامعات والطلبة بترجمة بعـض الكتـب مـن اللغتـين الإنجليزيـة والفرنسية إلى اللغة العربية، وخاصة الكتـب التـي تتعلـق بالنظرية الماركسية مثل ما العمـل، خطـوة إلـى الأمـام وخطوتان إلى الخاف – بعض فصول من الاقتصاد السياسي – تاريخ الحزب الشيوعي الروسي. البيان الشيوعي، المادية الجدلية، وغيرها وكانت هذه التراجم تنسخ من عدة صـورة وتوزع على من يريد من أفراد المجموعات السياسية.

٣- المحاضرات:

على فترات منتظمة كانت تلقي محاضـرات سياسـية عامة حضورها مفتوح لكل من يريد، وكانت تشتمل النواحي التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وما يتصـل بالحياة المصـرية وبالشـعب المصـري. وكانـت غالبيـة المحاضرات تتركز على:

- الاستعمار العالمي ودوره في امتصـاص دمـاء الشعوب حتى شعوب البلاد المستعمرة نفسها.
- دور الاستعمار البريطاني في مصـر وحركـات مقاومة الشعب المصري له.

- دور الرجعية العربية عامة والرجعيـة المصـرية خاصة في مساعدة الاستعمار والخضوع الكامل له ومحاربة الشعوب.
- الطبقة العاملة والفلاحـون وحـالتهم الاقتصـادية والاجتماعية ومطالبهم.

٤- مدارس الكادر:

تكونت مدارس كادر اشترك في كـل منهـا بعـض المرتبطين بالتنظيمات بطريقة الشرح والتوضيح ثم الأسـئلة والمناقشات وأخيرا الاختبـارات الشـفوية لتحديـد مـدى الاستيعاب، وما إذا كانت هناك حاجة إلى إعادة الـدرس أو تغيير المدرس أم لا. وقد سمح لعدد مـن الشـرفاء الغيـر منظمين بحضور تلك المدارس وأصبح عـدد مـنهم عنـد خروجه من المعتقل أكثر أيمانا بالاشتراكية العلمية وتحمسـا لها ممن دخلوا المعتقل وهم يؤمنون بها – بل إن بعضهم قد استمر وتحمل عبء الكفاح مع قسوته، بينما من درسوا له قد ترك بعضهم الميدان، إما خائفا بشرف وإما خائفا بندالة.

٥- لجان التنسيق:

تكونت في داخل المعتقل لجان تنسيق مهمتها دراسـة وسائل وطرق العمل المشتركة والميادين التي يمكن التعاون فيها بين تنظيمين أو أكثر، ثم دراسة نقط الخلاف سواء كانت تنظيمية أو سياسية بهدف تضييق شُقة الخلاف والوصول إلى أقرب نقطة من الوحدة الفكرية.

وكان الهدف البعيد لهذه اللجان التنسيقية هـو تحقيـق وحدة حقيقية بين التنظيمات الشيوعية تكفل الاستمرار والبقاء والتقدم بالعمل الاشتراكي بجهد موحد.

الظروف العامة داخل المعتقل:

يهمني قبل الحديث عن الظروف العامة داخل المعتقل أن أذكر أن عمليات القبض على المعتقلـين لـم تصـحبها عمليات تفتيش قاسية. ولم يحـدث خلالهـا اعتـداء علـى المعتقلين أو عـائلاتهم أو منـازلهم. ولـم يحـدث إتـلاف لمحتويات المنازل بحجة التفتيش وتقطيع للفرش والمراتب أو تكسير للدواليب والمرايا كما حدث بعد ذلك في الخمسينيات. وقد سبق لي أن قلت إن ضابط البوليس السياسي. الذي قبض على قد رفض رجائي له بالذهاب لمنزلي ليقـوم بتفتيشـه. وكامتداد لهذا الاتجاه كان تفتيش ما تحمله الزيـارات إلـى المعتقلين صوريا تماما، وكأنهم لم يكونوا يبحثـون إلا عـن الأسلحة، مع علمهم المؤكد بأن المعتقلين في عنبر الشيوعيين لم ولن يحملوا سلاحا ناريا. وإنما سلاحهم الذي يتمسكون به وتخشاه الحكومة أكثر من خشية الأسلحة النارية هو اللسـان والقلم.. وعندما دخلت إلى عنبر الشـيوعيين فـي معتقـل هاكستيب، احتفظت -كجميع الموجودين من المعتقلـين فـي العنبر- بكل ممتلكاتي من ملابـس ونقـود وأوراق وكتـب وأقلام. ولم يكن هناك أي حجر أو حظر على شيء. بل إننا

كنا نقول علانية وبأعلى الأصوات في داخل المعتقل ما لـم نكن نستطيع أن نقوله إلا في السر خارج المعتقل، مع كثيـر من المشقات التي كنا نتحملها في سبيل تفادي عيون البوليس السياسي وأذنابه وأعوانه.

ولقد وصلت إلى المعتقل بعد أن كانت آثـار معركـة الزيارة -التي أشرت إليها سـابقا- قـد انتهـت واسـتعاد المعتقلون كل ما سحب منهم من حقوق، بل واكتسبوا حقوقـا جديدة. وكان كل معتقل ينام على سرير يتكون من حـاملين من الحديد تمد بينهما ألواح من الخشب علـى شـكل [ملـه] توضع فوقها مرتبة، ولكل سرير مخدة وثلاث بطاطين. وقام المعتقلون بتركيب فيشة كهرباء على الحوائط في مواجهة كل سرير لاستعمالها في تركيب أباجوره للإناره ليلا أو سـخان لعمل الشاي أو القهوة، أو ما شاكلها.

وأما الحراسة فكانت مقتصرة على عدة نقاط يقف بكل منهما جندي مسلح خارج سور الأسلاك الشـائكة. وضـابط العنبر لم يكن يحضر إلا نادرا وكـان التمـام علـى عـدد المعتقلين يتم صوريا. أما الجنود فبرغم كـل المحاضـرات والدروس والمعلومات الكاذبة التي ألقيت عليهم من مـوظفي

وزارة الداخلية لكي يقفوا منا موقف العداء إلا أن علاقتنا بهم سرعان ما تحسنت بعد اختلاطهم بنا، وأذكر كأن جنديا قـد مات متجمدا من البرد وهو في نقطة حراسة في شهر ينـاير ٩٤٩ فقررت الجمعية العموميـة للمعتقلـين –وبالإجمـاع- التبرع بثمن وجبة الطعام ليوم كامل، وكلفت اللجنة العامـة باستلام ثمن الوجبة من المتعهد وتسـليمها لـبعض زمـلاء الجندي المتوفى لتسليمها لأسرته، وقد نفذت اللجنـة العامـة ذلك بالإضافة إلى أن بعض القادرين من المعتقلـين قـدموا تبرعات لنفس الغرض، وقد أحدث ذلك أثرا كبيرا في نفوس جميع جنود الحراسة، وفى نفوس الضباط أيضا الذين كـانوا يتظاهرون بعدم معرفتهم بشيء وخوفا من المساءلة.

نشاط العائلات:

يهمني أن أسجل هنا وعن لسان زوجـات وأخـوات بعض الزملاء ما دار في الخارج وعن تحركات العـائلات. فقد قامت العائلات بحركة واسعة للـدفاع عـن المعتقلـين والمطالبة بالإفراج عنهم، شملت مرورهم جماعات إلى دور الصحف ودور النقابات والشخصيات السياسية والحزبية. وقد

عاصرت جزءا كبيرا من هذا النشاط قبل اعتقالي، وقـد أدى هذا الضغط -بالإضافة إلى إضراب المعتقلين عن الطعـام- إلى صرف كفالة لكل عائلة قدرها ستة جنيهات تنقص خمسة عشر قرشا. ثم قطعت الكفالة وأعيدت بثلاثة جنيهات شهريا فقط. وبعد أن طالب الإخوان المسلمون بصـرف كفـالات لعائلاتهم أسوة بالشيوعيين، قررت الحكومة وقـف صـرف الكفالات نهائيا، وقد قوبلت عائلات المعتقلين بعطف كبير من نقابة المحامين ونقابة الأطباء ونقابة المهندسين، كما قوبلـوا من الجمهور والصحافة أيضا بعطف كبير رغم أن الصحف لم تستطع أن تكتب كثيرا عن مشكلة المعتقلين وعـائلاتهم؛ نظرا للرقابة التي كانت مفروضة على الصحف طبقا لقانون الأحكام العرفية وكانت العائلات تتعـاون فيهـا بينهـا فـي الخروج جماعات إلى الجهات التي يقدمون لها الشـكاوى أو بتنظيم أوقات الزيارات، بحيث تكون كل مجموعة لها وقـت مما يضمن وجود زيارات يوميا؛ لكي يكون الاتصال مستمرا بين المعتقلين والخارج. كما كانت بعض السيدات والآنسـات المقيمات في القاهرة يتسلمن كفالة بعض العـائلات المقيمـة

خارج القاهرة وخاصة في الأرياف بمقتضى توكيلات ثم يسلمنها لأصحابها عند حضورهم لزيارة أبنائهم أو أزواجهم.

لقد كان نشاط عائلاتنا خارج المعتقل ذا أثر كبير، سواء بالنسبة لتقوية معنوياتنا بالداخل ومساعدتنا على اجتياز تلك الفترة بأقل خسارة نفسية ممكنة، أو بالقيام بدور إيجابي في حماية الأسر نفسها والمحافظة على تماسكها، أو بالضغط على المسئولين في الدولة من أجل حمايتنا ثم الإفراج عنا.

وبعد ترحيلنا إلى معتقل الطور، ازداد نشاط العائلات خاصة بعد ظهور مهام جديدة مثل ضرورة إرسال الطرود والنقود بحوالات بريدية، وكانت بعض الطرود تسلم إلى البوليس لتوصيلها للمعتقلين، وبعضها ترسل مباشرة إلى مكتب بريد الطور حيث كنا نتسلمها.

وبعد استقالة وزارة إبراهيم عبد الهادي ومجيء الوزارة الانتقالية التي كانت كان معروفا أنها تعد لإعادة الوفد إلى الحكم. وقفت تماما حركة الاعتقالات التي كانت متصاعدة بين جماعة الإخوان المسلمين، وجف الضغط الإرهابي على الشارع المصري وقامت عائلات المعتقلين بمظاهرات جديدة تطالب بالإفراج عن المعتقلين السياسيين.

وكان بعض الطلبة والعمال يحيطون مظـاهرات السـيدات بكردون حراسة لمنع أية مضايقات قد يلجـأ إليهـا بعـض الشباب، ولم أسمع شكوى واحدة من والدة أو زوجة أو أخت أحد المعتقلين من شبان أو رجال رغم أنهن كن يحملن بعض الفتيات على أكتافهن لتهتف ويردد الباقيات خلفهـا الهتـاف. وكانت مظاهرات عائلات المعتقلين تقابل بالهتاف والتشجيع والمشاركة في ترديد الهتافات كلما مرت بتجمع في مقهى أو ناد أو غيره، وقد كرر لي الكثيرات من عائلات المعتقلـين ثناءا كثيرا على السيدة هانم الباجوري زوجة زميلنـا علـي خليل وما قامت به من جهد في عملية تنظيم وربط العائلات وقيادة عملية الكفاح وأنها كانت همزة الوصل بـين داخـل المعتقل وخارجه.

كما تكرر ذلك تلك الخطبة التي ألقتها السيدة/ سـيدة السيد محمود زوجة زميلنا طه فودة في ضريح سعد مسـاء يوم ١٣ نوفمبر ١٩٤٩ في الاحتفال بذكرى عيد الجهاد وما لقيته من استحسان حتى من ضباط البوليس والجنود أنفسهم، وقد ركزت الخطيبة على مهاجمة الأحكام العرفية وطالبـت

بإلغائها وبالإفراج عن المعتقلين السياسيين. كما هاجمت عهد الإرهاب الأسود، وحكم إبراهيم عبد الهادي، وقالت في ذلك البيت الآتي:

يا باري القوس بريا لست تحسنه

لا تظلم القوس واعطِ القوس باريها

ولم يتدخل البوليس وقتئذ لتفريق المظـاهرات بـالقوة حتى عندما كان المتظاهرون يحملون كلبا في قفـص وهـم يهتفون: "عبد الهادي.. كلب الوادي".

وقد ساهمت أسر المعتقلين فـي الدعايـة للمرشـحين الوفديين، وأصدر مصطفى النحاس أثناء المعركة الانتخابيـة عديدا من التصريحات التي يؤكد فيها الإفراج عن المعتقلين السياسيين، وكان يقابل أمهات وزوجات المعتقلين في منزلـه بترحاب كبير وعطف حتى بعد ظهور نتيجـة الانتخابـات والتأكد من فوز الوفد الساحق فيها. كانت عملية الإفراج عن المعتقلين قد بدأت تأخذ بعدا جديدا بضغط شديد من الجماهير بعد سقوط وزارة إبراهيم عبد الهادي مباشرة، وشملت كـل نوعيات المعتقلين من يهود وصهيونيين وإخـوان مسـلمين وشيوعيين، وحتى الخطرين على الأمن من أرباب السـوابق

إذا كان من الواضح أن الاتجاه قد تقرر إلى إلغـاء الأحكـام العرفية وبالتالي الإفراج عـن جميـع المعتقلـين. وكانـت الحكومة قد أعادتنا من معتقل الطور إلى معتقـل هاكسـتيب مما جعلنا في معايشة يومية مع الأحداث وفى اتصال يـومي مع العائلات. وقد سمعت العائلات أثنـاء مرورهـا علـى دواوين الحكومة للضغط من أجل الإفراج عنا بـأن هنـاك قوانين ستصدر بالنسبة لعمال شبرا الخيمة وهم نحو الخمسين لإبقائهم في المعتقل دون إفراج بعد تصفية المعـتقلات، وأن الحكومة ستبقي بعضهم نهائيا في عيون موسـى، فاتجهـت المظاهرات إلى منزل فؤاد سراج الـدين باعتبـاره وزيـر الداخلية لمطالبته بتنفيذ مـا أعلنـه النحـاس مـن تصـفية المعتقلات والإفراج عن جميع المعتقلين. وكان فـي اليـوم السابق قد أمر بصرف خمسة جنيهات من المصاريف السرية طبعا لتوزيعها علـى العـائلات كمصـاريف للمواصـلات فعايرهن سراج الدين بذلك أثناء مقابلتهم له، فأغلظن عليـه في القول وهتفن بسقوطه، فخرج النحاس من منزلـه الـذي كان يواجه منزل فؤاد سراج الدين، وأذكر هنا نص ما نقلته عن لسان إحدى الزوجات، وأكدته لي غيرها كثيرات:

(لما عايرنا سراج الدين بالخمسه جنيه اللي صرفها لنا امبارح واحنا عارفين أنها من المصاريف السرية وليست من جيبه الخاص شتمناه وهتفنا بسقوطه واحنا في قلب بيته فطلع النحاس ودعانا لمنزله وكان يعرف كثيرات منا بالاسم. وقـد حاول عامل ممن كانوا معنا أن يقبل يد النحاس فقال له أحمد سالم عامل النسيج لا تقبل اليد؛ لأن هذا ضحك على الدقون. فقال النحاس ضاحكا: اسكت أنت يا أحمد يا سـالم مـالكش دعوة. ولما حكينا له ما سمعنا من أن وزارة الداخلية سـوف لا تفرج عن أزواجنا، وستنفيهم إلى عيون موسى ثار النحاس ودخل البيت اتكلم في التليفون ثم عاد إلينا هاشـا ضـاحكا. وفى لغة أبوية قال:

"اسمعي يا بنت إنتي وهيه، كل واحدة مـنكم تـروح تعمل لجوزها لقمة حلوه علشان يأكلها وتستناه، هيجـو لكـم حالا".

ولما هتفنا بحياة النحاس والوفد، وهتفنا بسقوط الأحكام العرفية ونحن في داخل البيت. قال النحاس: "طيب استنوا لما تخرجوا بره وابقوا اعملوا اللي انتم عاوزينه". وفعلا أفـرج عن المعتقلين، وإن كان البوليس قد حجز بعض العمال ليلـة

واحدة باتوها في الأقسام ثم أفرج عنهم..) انتهى هنـا كـلام زوجة المعتقل، والتي -كما قلت- أكدتها عديد من روايـات الزوجات والأخوات اللاتي قابلتهن. وقد تعرضت العـائلات وخاصة الزوجات أثناء فترة الاعتقال إلى ضـغوط كثيـرة أقساها المحاربة في الحصول على لقمة العيش، وخاصة لمن عندهن أولاد فبعضهن اشتغلن بالخياطة في منازلهن، وهـن اللاتي كن يملكن ماكينات خياطه وبعضـهن اشـتغلن فـي المصانع وبعضهن اشتغلن ببيع وشراء الخضار أو الخدمـة في المنازل، وقليلات سافرن إلى القرى للعيش مع الأسـرة، وقد ترتب على ذلك ضغط من الأسر على بعض الزوجـات ليطلبن الطلاق من أزواجهن. وبعـض الخطيبـات فسـخن الخطبة وفى نفس الوقت أعطى بعض المعتقلين لزوجاتهم -ومنهم طه فوده- حرية الإبقاء على الارتباط به أو الطـلاق فأصررن علـى الاحتفـاظ بربـاط الزوجيـة. ورغـم أن الانتخابات قد أجريت في يوم ٨ ينـاير ١٩٥٠ إلا أن آخـر دفعة من المعتقلين لم يفرج عنهم إلا يوم ٢٠ ينـاير ١٩٥٠ وكنت منهم، وكان معي الغالبية العظمى من عمال النسـيج الميكانيكي في شبرا الخيمة والقاهرة.

وهناك أمر يتعلق بي وبأمثالي من المـوظفين الـذين اعتقلوا وهو مرتبط أيضا بالعائلات فقد صـدر قـرار مـن حكومة النقراشي بوقف صرف مرتبـات المـوظفين مـن المعتقلين بمجرد اعتقالهم. ولمـا كنـت مدرسـا بمدرسـة الإسماعيلية الابتدائية قبل اعتقالي وهى مدرسة حـرة فقـد أوقف صرف مرتبي. وقد حاول بعض زملائي المدرسـين مساعدة أسرتي وكان ابني الأكبر تلميذا في نفس المدرسـة فأرسلوا عن طريقه مساعدة لمدة شهرين فقط، ثـم أوقفوهـا خوفا من معرفة البوليس بذلك فيعتقلون أو يضارون.

ولكن بعد أن سقطت وزارة إبراهيم عبد الهادي تقرر صرف جميع مرتبات الموظفين عن مدة الاعتقال. وعنـدما وصلت إلى منزلي وجدت ابن عمي المهندس منير قد حضر ومعه شيك بمبلغ ثمانين جنيها، وهي دفعـة مـن المرتـب صرفتها منطقة شمال القاهرة التعليمية التي كانـت تتبعهـا المدرسة ثم صرفت الباقي بعد ذلك.

في معتقل الطور:

الترحيل: وصلت دفعة من المعتقلـين القـادمين مـن الإسكندرية إلى معتقل هاكستيب وكان من بينهم عمال وطلبة وموظفون وحرفيون ومعيدون في الجامعة، ولابد لي هنا من أن أذكر ذلك الرجل الكهل الأشـيب "محمـد عمـر مقبـل" المشهور باسم عمـروف، والـذي كـان يعمـل مكوجيـا بالإسكندرية، وقد كان عمروف يحظى بالاحترام الكامل مـن مجموعة معتقلي الإسـكندرية علـى اخـتلاف انتمـاءاتهم التنظيمية. ومن أحاديث عمروف علمت أنه كان عضوا فـي حزب سنة ١٩٢٤ كما كان يسميه، وهو الحزب الاشـتراكي الذي صفته حكومة سعد زغلول، وأنه سـافر إلـى روسـيا للدراسة في جامعة شعوب الشرق الذي كـان يلتحـق بهـا القياديون في الحركة الاشتراكية في الشرق والعالم العربـي، وأنه قد منع من دخول مصر وأعيد إلى روسيا فعمـل فـي السيرك، وتزوج وعاد بزوجته وابنه إلى الإسـكندرية إلا أن الحكومة المصرية طردت زوجته وابنه ومنعته من السـفر. وقد أراني صورة لزوجته وابنه وهو بملابس ضـابط فـي الجيش السوفيتى، ولما سألت عمي عمروف كما كنا نناديـه

عن عدم سفره إلى روسيا ليعيش مع زوجتـه وابنـه رغـم إلحاحهما المستمر عليه في الخطابات أجاب:

إنني مصري وإسكندراني ومكاني هنـا فـي بلـدي، ومكان جثتي بعد موتي هو تراب بلادي، ثم نظر إلي نظـرة حانية عاتبة وهو يقول: لا تظن أنه لا فائدة مني للاشتراكية. ولو كان الأمر كذلك لما اعتقلتني الحكومة وأحضرتني هنـا معكم. صحيح أنني كهل وقدمي على حافة القبر، ولكني على ثقة كاملة بانتصار الاشتراكية في مصر.. ويكفيني أن أكرر هذا لأقنعكم به، وعندما تنتصر الاشتراكية فـلا شـك أنكـم سوف تتذكرون ذلك الكهل عمروف وهو يكفينـي.. وبعـد ليلتين فقط قضاها معنا وفد الإسكندرية علمنا أنه قـد تقـرر ترحيل دفعة من المعتقلين إلى معتقل الطور، فاستعد كل منا لذلك. وفى صباح أحد الأيام نودي على كشـف المـرحلين وكان من بينهم جميع عمال شبرا الخيمة.

وقد حدثت قصة طريفة ونحن على محطة هاكسـتيب في انتظار القطار حيث كانت مجموعة من الإخوان المسلمين تقف في جانب، ومجموعة أخرى من الشيوعيين تقـف فـي الجانب الآخر من المحطة، وخرج من بين الإخوان المسلمين

شخص واتجه إلى عبد الحفيظ أبي ستيت قائد المعتقل. وفـى ذعر وانفعال من الشخص المعتقل دار الحديث التـالي بينـه وبين القوامندان.

- يا سعادة البيه.. انتم جايبيني هنا ليه؟
- بقى ما انتش عارف جايبينك ليه؟ عشان تترحـل لمعتقل الطور.
- أروح معتقل الطور ليه؟
- علشان أنت من الإخوان المسلمين.
- يا سعادة البيه إخوان مسلمين إيه.. وأنـا قبطـي وآدي الصليب أهه.

وكشف عن يده ليري القوامندان رسم الصليب علـى يده.

- آه.. بقى انتا قبطي.. تبقى شيوعي.. يـاللا روح مع الشيوعيين.

ولم تجدِ أي توسلات لهذا الشخص، ودفع إلى القطـار ليرحل معنا. وحاولنا تهدئته رغم شكّنا في أنـه قـد يكـون مدفوعا من البوليس السياسي..

لا أستطيع أن أصف إحساسي ونحن نـودع زملاءنـا الذين لم يرحلوا معنا وبقوا في العنبـر، وكانـت أصـواتنا بالأناشيد والأغاني الوطنية تخرج بحماس شديد كأننا مقدمون على معركة ومصممون فيها على الانتصـار. وسـار بنـا القطار وسط الصحراء في طريقه إلى السويس وأحسست أن الرمال الصفراء والصخور في وحشتها اللانهائية تعبر عـن المجهول الذي نحن سائرون إليه. وهاجمتني عـدة خـواطر عن الأسرة وتراءت لي صور أفراد أسرتي مجسمة، وكأنهم تارة يشجعون وتارة يغطيهم الأسى من المسـتقبل الـذي لا يعلمه إلا الله، وبدأت تطرق ذهني أفكارا وصورا عن ذلـك المكان الذي يسمى الطور، وعن المعيشة فيـه وعـن نـوع المعاملة التي سوف نلقاها من سكان ذلك المكان الأصـليين ومن الحراس الذين كانوا يرافقوننـا فـي القطـار ليتولـوا حراستنا هناك. وتارة كان صدري ينقـبض وتـارة أتعلـق بالأمل في زوال تلك الغمة. وخفت أن يكون زملائـي قـد اطلعوا على ما بداخلي فنظرت حولي فإذا بالجميع في صمت كامل وبعضهم يتناوم وبعضهم قد شرد بصره في الصحراء، وما إن لاحت مساكن مدينة السويس حتى بدأنا في الأغـاني

والأناشيد الحماسية الوطنية التي كنت أحس أنهـا جرعـات مركزة من التقوية لنفسي وروحي. واختـرق بنـا القطـار المدينة في طريقه إلى الميناء ونحن نهتف بـأعلى أصـواتنا للحرية والديمقراطية وبسقوط الإرهـاب وأحكـام العرفيـة والاستعمار وأعوانه خونة الشعب المصري.

ووجدنا الباخرة عايدة في انتظارنا، كما وجدنا الميناء خاليا تماما إلا من رجال البوليس السري والعلني. وبعد – أن أخذنا أماكننا على سطح الباخرة وأقلعت ووصلنا إلى مكـان به دوامة علمنا أن اسمها "بركة فرعون" دارت الباخرة حول نفسها فظننا أننا غارقون لا محالة، وقال البعض: إنها لعبـة من الحكومة لتتخلص منا وتتنصل مـن المسـئولية. ولكـن الباخرة استقرت بعد ذلك، وأخذت طريقها السوي في خلـيج السويس.

كنا في شهر فبراير من عام ١٩٤٩ ورذاذ خفيف من المطر يتساقط علينا ونحن على ظهر الباخرة وبعد فترة مـن الاستمتاع بالبحر اجتمعنا لتدارس أمرنا في حياتنا المستقبلية، وإذا بشخص غريب عنا يعرض علينا أن يعيش معنا؛ لأنـه من شبرا الخيمة ويسكن في شبرا البلد وقال إنه يعرفنا كلنـا

وذكر أسماء الكثيرين منا، وقد دهشنا لمعرفتـه بنـا دون أن يتذكر واحد منا أنه يعرفه من قبل، وانتحـى بـه محمـود العسكري جانبا لفترة من الوقت ثم عاد إلينا وأعلن محمـود العسكري أن هذا المواطن "إدوارد[1] يسكن في منزل بمحطة شبرا، وأنه كان يعمل لحساب المخابرات البريطانية وكـان يكتب لها التقارير عنا وعن نشاطنا، وأنه يعرف الكثير مـن أسرارنا العائلية، ولكننه تاب وكدليل على توبته فإنه سـوف يتقدم بنقد ذاتي ويعترف لنا بكل شيء مقابل أن يعيش وسطنا وأن نحميه من التعذيب والقتل كما نحمي أنفسنا. ثم استدعى محمد اثنين من منظمة " ع ث" وهما عبد المعبـود الجبيلـي وعبد الرحمن الناصر واثنين من "حدتو" وهما كمال شـعبان وعبده، ذهبا ليسمعا النقد الذاتي من إدوار موهما إيـاه بأنـه بذلك يكون تحت حماية جميع المنظمات. وأخذ إدوار يحكـي لنا قصة اتصال المخابرات البريطانية به، وروى تفاصيل ما يعرف عن حياتنا الخاصة وأعمالنا، وسكن كل منا وحتى عن علاقة بعضنا بأهله، وما يتخللها من مشاكل وتوترات. وقـد

---

[1] كان يتعامل باسمين: الأول إدوارد والثاني ألبير.

علمت من محمود العسكري أنه قد استدرج إدوارد بعـد أن أوهمه بأننا مقدمون على حياة سوف يتعرض كل منها فيهـا للموت في كل يوم، وصور له أننا مقدمون علـى أهـوال لا قبل لفرد على مواجهتها إلا محتميا بجماعة. وكان مما ساعد على انهيار إدوارد واعترافه بأن المخابرات البريطانية قـد اتفقت معه على أن يدخل المعتقل لمدة أسبوعين فقط؛ ليتمكن من كتابة تقرير عما يجري في عنبر الشيوعيين بالتفصـيل وأنه فوجئ بترحيله إلى الطور وتعريضه للموت ورغـم أن إدوارد قد بكى بمرارة تقطع القلوب وهو يذكر والدته العجوز التي ليس لها سواه والتي سوف تموت لا محالة، إن لم يكـن من الجوع فمن الحزن عليه؛ لأنه كل شيء النسبة لهـا فـي الدنيا. ورغم كل توسلاته وتضرعاته لأن نقبل عيشته وسط مجموعتنا نحن عمال شبرا الخيمة، إلا أنه قد طرد منا ومن جميع المعتقلين حتى الشراذم رفضـوا أن يعـيش معهـم. وأجبرناه على أن يتسلم طعامه من الفول والعـدس وغيـره ناشفًا من المتعهد مباشرة مما دفعه إلى طبخ طعامه في كوز من الصفيح. بينما كنا نحن نطهي الطعام لجميـع مـن فـي الحزاء كما سيأتي تفصيل ذلك فيما بعد..

وعلى ظهر عايدة عقدنا اجتماعا خاصـا لمجموعـة "نحن" درسنا فيه كل الاحتمالات بالنسبة لحياتنا في الطـور واتخذنا قرارات وأن تكون الحياة في داخل معتقـل الطـور على أساس الاشتراكية الكاملة بمعنى أن تكون كل الممتلكات من نقود وسجاير ومأكولات وملابس ملكية جماعية وتعـين أمين لصندوق الحياة العامة لمجموعة نحن تقرر تسليم كـل شيء زائد عن الحاجة الفعلية إليه بمجـرد اسـتقرارنا فـي الطور. وأن يصرف للمحتاج منا بقدر حاجته الفعليـة مـن الملابس – أما الأكل والشاي وغيـره فتصـرف بالتسـاوي للجميع. وتصرف السجاير للمدخنين بكمية موحدة يوميا وفي حدود الإمكانيات. ونظرا لعدم معرفتنا بظروف المكان الذي سنقيم فيه فقد اشترينا بمعظم النقود التي كانت معنا من بحارة الباخرة سجاير وشاي وسكر ومأكولات محفوظة وقد كـان سعرها أقل من نصف سعرها العادي في القـاهرة وشـبرا الخيمة.

رفض التفتيش:

عندما رست الباخرة عايدة على ميناء الطور وجـدنا أفراد الحراسة من ضباط وجنود بوليس في انتظارنا وأوقفنا أحد الضباط وطلب منا أن نتقدم واحد لتقوم القـوة بتفتـيش أمتعتنا، وكانوا قد اتخذوا هذا الإجراء مع الإخوان المسلمين الذين كانوا قد سبقونا إلى الطور ولكننا رفضنا، وحاول أحد الضباط استعمال القوة لتنفيذ التفتيش فـانبرى لـه محمـود العسكري وثار في وجهه وهاج بطريقة جعلت الكثيرين مـن المعتقلين، وكنت منهم يخشون أن يتطور الأمر إلى معركـة غير متكافئة نكون نحن فيها الخاسرون. وهرع إلى الكثيرين من أفراد ومسئولي الجماعات السياسية الأخرى يرجونني أن أمنع محمود العسكري من الاستمرار في موقفـه ويحملـون مجموعتنا بشكل عام ومحمود بشمل خاص مسئولية ما يحدث ولكن محمود رفض – وحضر رئيس القوة فأفهمه محمـود بأننا معتقلون منذ ١٥ مايو ١٩٤٨ وأننا تحت حراسة وزارة الداخلية طوال تلك الفترة وأننا منقولون فقط من مكان إلـى مكان، وأن الطور هو امتداد لهاكستيب. ورغم أنه لا أحد منا يحمل ممنوعات إطلاقًا أو أي شيء مخالف للقـانون، فإننـا

سوف نتهم أفراد الحراسة بأنهم هم الـذين أحضـروا إلينـا الممنوعات على فرض وجودها، فاقتنع رئيس القـوة وأمـر بعدم إجراء أي تفتيش لمتاعنا. ورغم أن تصـرف محمـود العسكري وهياجه كان مرفوضـا مـن غالبيـة المعتقلـين الشيوعيين في البداية – إلا أن الجميع قد أحسوا بعد ذلك بأنه قد أفادهم كثيرا؛ إذ لم يكن الخوف أن تستولي القوة على مـا نحمله من سجاير ومعلبات فحسب رغم أننا كنا نحمل منهـا كميات ليست بالقليلة، ولكن الخوف الأكبـر كـان مـن أن تصادر القوة ما نحمله من كتب وأوراق وأقلام قد لا نستطيع تعويضها، بالإضافة إلى المخطوطات من تـراجم وتقـارير وتحاليل سياسة، ومحاضر اجتماعات ومناقشات، وهذه كانت قيمتها عندنا كثيرة جدا؛ لأنها كانت حصـيلة جهـد ذهنـي وسياسي ساهم فيه الجميع خلال ما يقرب من الثمانية أشهر.

- **داخل الحزاء:**

كان المعتقل في الطور هو المكان المخصص للحجـر الصحي (الكورنتينة) الذي يعزل فيه الحجاج عند عودتهم بعد أداء الفريضة لكي يجري عليهم الكشف الطبي والتطعيم ضد الأوبئة قبل دخولهم إلى البلاد، وهو عبارة عن عـدد مـن

مجموعات الأبنية تسمى كل مجموعة منها (حزاء) ويفصـل كل جزء عن الآخر سوران من الأسـلاك الشـائكة بينهمـا طرقة لمرور الحراسة التي تمنع الاتصال بين سـكان كـل جزاء بسكان الجزاءات الأخرى.

وعندما دخلنا حزاء رقم ٥ الـذي خصصـته الإدارة لإقامتنا وجدته يتكون من فناء متسع كنا نلعب فيه كرة قـدم. وعلى كل جانب مجموعة من الحجرات من دور واحد مبنية من الحجر – وفى بداية الصف الأيسـر – يوجـد المطـبخ ومخازن الطعام ثم تعقبها حجرات كبيرة تكفـي كـل منهـا لوضع نحو عشرين سريرا ويتوسط حجرات هـذا الصـف دورة المياه الخاصة بالحزاء.. أما الجانب الأيمن فكان يبـدأ بغرفة لقائد الحزاء ثم حجرة لاستراحة نوبتجية الجنود، ثـم عدد قليل من الحجرات الصغيرة التي لا تسع لأكثـر مـن ثمانية أسرة ثم بعد ذلك حجرات كبيرة مماثلة لبقية حجـرات الحزاء في الصف المقابل. وكانت إدارة المعتقل قد عزلـت أربع غرف من آخر الحزاء من الـداخل ووضـعت فيهـا المعتقلين الغير سياسيين والخطرين على الأمن من أربـاب

السوابق، وأقامت بينها وبين الجزء الذي نقيم فيه سوران من الأسلاك الشائكة به باب وضعت عليه حراسة من الهجانة.

أما السراير فكانت عبارة عن طاولة من الخشب طولها متران وعرضها متر وبها عوارض من أسفل ترفعها عـن الأرض نحو سبعة سنتيمترات. وقد استخدم بعضـنا ثلاثـة وأربعة سراير وضعها فوق بعضها لينام عليها؛ حتى يقلـل من رطوبة الشتاء قدر الطاقة؛ إذ لم تكن هناك مراتـب ولا مخدات ولم يصرف لنا إلا البطاطين.

*** الطعام:**

بدأنا فور وصولنا في الإعداد لاستئناف حياتنا العادية، فوزعنا أنفسنا على الحجرات بشكل يسمح لكـل مجموعـة تنظيمية أن تمارس نشاطها. وبدأت اللجنة العامة في القيـام بعملها، وكانت أول وأقسى مفاجأة أن علمنا أن متعهد توريد الأغذية للمعتقلين قد رسا عليه عطاء الغذاء اليومي لكل فرد بواقع ثلاثة وخمسين مليما في اليوم بينما كان فـي معتقـل هاكستيب مائة وسبعون مليما أي أن ثمن الطعام اليومي لكل منا قد انخفض إلى أقل من الثلث رغم اخـتلاف الظـروف بالنسبة لنا وبالنسبة للمتعهد نفسه والتي تحتم أن يكون المبلغ

أكبر في الطور لاختلاف الظروف، وأسقط في أيدينا. مـاذا نصنع ونحن أقلية عددية بالنسبة للعدد الكبير من المعتقلـين في الطور، وهم من الإخوان المسلمين الذين ازدحمت بهـم أربع حزاءات، ولكي نتفادى أخطار قلة وسوء التغذية أخـذنا نستكمل الحد الأدنى من احتياجاتنا مما كان لدينا من معلبات، ومما نشتريه من الكانتين من مأكولاته.

وكلفت وبعض الزملاء من قبل اللجنة العامة بالاتصال ببعض الإخوان المسلمين وخاصة من قادتهم الذين كانت لي بهم سابق معرفة والتحدث إليهم في وضعنا الـذي لا يمكـن استمراره ومناقشتهم في إمكانية القيام بعمل مشترك نحن وهم لتحسين أوضاعنا وخاصة من ناحية التغذية وقـد تـم ذلـك وساعد عليه أن الحزاءات كانت مفتوحة طوال اليـوم مـن الثامنة صباحا وحتى موعد التمام في الخامسة مساء. وبدأت الاتصالات تؤتي ثمارها في عمليات تعارف ميداني بزيارات قام بنها عمال النسيج من الشيوعيين لعمـال النسـيج مـن الإخوان، وبالعكس ثم بالاشتراك في مباراة لكرة القدم بـين فريقين أحدهما للإخوان والآخر للشيوعيين. وأعقـب ذلـك تنظيم مناقشات عامة ومفتوحة لنقاط كانت تحدد في الجلسات

نفسها. وكانت كلها تدور حول نقاط الخـلاف فـي الفكـر والسلوك بين الشيوعيين والإخوان المسلمين، ولما كان ذلـك يستلزم أن يكون ممثلو الشيوعيين في المناقشات على إلمـام إلى حد ما بالثقافة الدينية الإسلامية فقد وقع على عاتقي أنـا وطه فوده هذا العبء بينما كان بعض الـزملاء الآخـرون يشتركون في مناقشة المسائل الاقتصادية والاجتماعية العامة.

وهنا لا يدل من الإشارة إلى أن كثيرين ممن كانوا في حزاءات الإخوان المسلمين بـالطور لـم يكونـوا أعضـاء مرتبطين عقَديا، ولكن نسبة منهم غير قليلة قد اعتقلوا بدوافع حقيقية أخرى. ولما وجدوا أنفسهم تحـت لافتـة الإخـوان سايروا الجو ولم يكن أمامهم إلا هذا خاصة وإنهم لـم يكـن لديهم أيضا ما يدفعهم إلى معاداة الإخوان المسلمين كجماعة. ولقد كان هذا الفريق هو المتحمس للمناقشة والاشتراك فيهـا بصدر وذهن منفتح واستعداد للاقتناع دون تعصـب الأمـر الذي أحست معه غالبية قيادة الإخوان المسـلمين. وخاصـة الذين كانوا يعارضون منهم في مجرد الاتصال بالشـيوعيين منذ البداية. أحسوا بأن هناك خطرا في أن تزعزع مراكـز قيادتهم المقدسة.

وفى هذه الأثناء حدث أن أحضر المتعهد لحم مـاعز جبلي بدلا من اللحم الكندوز المتفق عليه في العقد. وحـدثت مشادة بينه وبين اللجنة العامة للشـيوعيين، أعلنـت بعـدها رفض استلام ذلك اللحم فألقاه رجال المتعهد على الرمل أمام الحزاء، وغادرنا حلقة المناقشة التي كانت معقـودة وقتئـذ خارج الحزاءات – وكان يحضرها عدد كبير من الشيوعيين والإخوان، وتوجهنا جميعا لنستطلع الأمر، فـإذا بنـا نـرى أجساما مسلوخة لا تختلف في شكلها وفى حجمها على شكل وحجم الكلاب فصرخوا وطالبوا برفضها. وذهـب بعـض الإخوان إلى مطابخ حزاءاتهم فأخرجوا لحم الماعز المسلوخ وألقوا به أمام الحزاءات. وبعد ذلك اتفقنا مع بعـض قـادة الإخوان أذكر منهم الشيخ عبد المعز عبد الستار ومصـطفى مؤمن على رفض استلام الطعام كله؛ حتى يتم تحسين نوعية الطعام. وفعلا أحضر المتعهد أسماكا طازجة بدلا من لحـوم الماعز التي سحبها وتعهد بإحضار عجول بسيارات النقل من السويس لذبحها على أن تكون تحت فحص الطبيب البيطري قبل توزيعها؛ وذلك نظرا لبعد الفترات التي تأتي فيها الباخرة من السويس إلى الطور وبتحسـين الخبـز وزنـا ونوعـا

وبإحضار الخضار الطازج والفاكهة وكل ما يطلبه المعتقلون في الكانتين وبيعه بأسعار معقولة، وأن يعزل المعتقلون الفول السليم الأبيض من السوس الأحمر ولا يتسـلموا إلا السـليم الأبيض لتدميسه أو طبخه، وفى أثناء رفض الطعام استدعى القوامندان حرس الحدود مـن الهجانـة وأمـرهم بضـرب المعتقلين وإدخال لحم الماعز إلى مطابخ الحزاءات فرفضوا تلقي الأوامر من رئيسهم ضابط الحدود، ولما حضـر هـذا الضابط رفض الاشتراك في معارك لا دخل لها بها كما قال ثم سحب جنوده وانصرف.

وقد أحدث هذا الانتصار دويا كبيرا فـي حـزاءات الإخوان المسلمين وزاد التقارب وتعددت الزيارات وكثـرت التعارفات مما كان يبشر بخير كثير لو اسـتمر نمـو هـذا التعاون والاشتراك في أعمال مشتركة لتحسـين الظـروف المعيشية في داخل المعتقل كله، ولكن كان هنـاك مـن لـه مصلحة خاصة في وقف هذا الاتجاه وإجهاض ثمراته.

استطاعت اللجنة العامة للمعتقلين أن تحصـل علـى صورة من العقد الموقع بين المتعهد ووزارة الداخلية وموضح في هذا العقد كمية الطعام الذي يصرف لكل معتقل في اليوم

من كل صنف، من الخبز واللحم والخضار والفول والعـدس وحتى بدائل كل صنف في حالة عدم وجوده، وقمنا بدراسـة تلك الكميات فإذا بها أكثر من ضعف ما كـان يسـلمه لنـا المتعهد. فقد حصرنا ثمنها بالأسعار الرسمية فوجدناه نحـو أحد عشر قرشا في اليوم، بينما تدفع له وزارة الداخلية ثلاثة وخمسين مليما فقط. فقررنا أن نخوض معركة للحصول على الكميات كاملة وبالنوعيات الجيدة المنصوص عليها في العقد وقررنا أيضا أن نشرك معنا الإخوان المسلمين وأن نخطـر العائلات في الخارج؛ لأننا كنا نعتبر مساعدة الخارج لنا من أهم عناصر النجاح. وفعلا تم ذلك وفوجئـت إدارة المعتقـل بامتناع المعتقلين من جميع النوعيات عـن اسـتلام الطعـام وكذلك -وفى نفس الوقت- بعلم العائلات بما تم وضـغطهم لتأييد موقفنا. وأشارت الصحف إلـى شـكاياتنا وشـكاوى العائلات وانتهى الموقف بتعديل كميات الطعام ونوعياتها..

علمنا بعد ذلك أن بعض قادة الإخوان المسـلمين قـد أبلغوا قوامندان المعتقل (عباس عسكر) بأن الإخوان لا دخل لهم فيما حدث، وأن اختلاط الشيوعيين بهم هو الذي أفسدهم وجعلهم لا يرضون بما قسم الله لهم ويطالبون بتحسين حالهم.

وعلى ذلك قرر عباس عسكر غلق الحزاءات طول الوقـت وعدم الخروج منها إلا للذهاب إلى المستشـفى للكشـف أو للعلاج وبذلك حرمنا من أشياء كثيرة كنا نتمتع بها قبل ذلـك كما حرم الإخوان المسلمين منها عدا قيادتهم الـذين كـانوا يتمتعون بجزء كبير من الحرية لدرجة قضاء السهرات مـع القوامندان في فيتله. وبعد أن كنا عند بدايـة وصـولنا إلـى الطور وبعضنا زار دير سانت كاترين، هذا بجـوار حريـة الحركة في داخل المعتقل كله وحرية التنقل بين الحـزاءات. إلا أننا من خلال حركة التضييق علينا قد حرمنا من ذلك كله وغيره وانحصرت حركتنا في داخل الحـزاء. وقـد طلبنـا الخروج لصلاة الجمعة في حزاء الإخوان المسلمين وكنـت بعد وقبل الصلاة أجري أنا وبعض الزملاء اتصالات ببعض الإخوان المسلمين. وفوجئنا بعد ذلك بمنعنـا مـن الخـروج للصلاة.. ورغم أن الحياة في المعتقل كانت شبه رتيبة إلا أن تخللها أحداث كبيرة لا تنسى نظرا لأهميتها. ومن أهم تلـك الأحداث:

* **العساكر والقوامندان:**

نمت العلاقة بيننا وبين جنود الحراسة واسـتطعنا أن نخلق مع بعضهم صداقات وعن طريق هذه الصداقات كنـا نتلقى الرسائل الخاصة شبه السرية من العائلات، وكذلك كنا نرسل إلى العائلات رسـائلنا السـرية. وعنـدما اسـتطعنا الحصول على لائحة معاملة جنود الحراسة وجدنا أن فيهـا مزايا كثيرة حرم منها العساكر وأنقص المنصرف منها لهم: فأطلعناهم عليها ثم أعطيناهم صورة منها فقاموا في مظاهرة ضمت كل العساكر الذين في الراحة وبعض الموجودين فـي الخدمة وتوجهوا إلى مسكن القوامندان مطالبين إيـاه بتنفيـذ اللائحة وصرف متسحقاتهم بأثر رجعي منذ وصـولهم إلـى الطور. ولم يحاول عباس عسكر وهو يعلم أن الجنود علـى حق وأن لهم حقوقا سلبت منهم. لم يحاول أن يهدئ الموقف ولكن ثار في وجههم واعتدى علـيهم بالسـب والشـتم ثـم استدعى حرس الحدود من الهجانة وأمرهم كما أمر حرسـه الخاص بضرب الجنود المتظاهرين وتفريقهم بالقوة فرفضوا فهدد الجميع بالمحاكمة العسكرية بتهمة التمرد وعدم إطاعـة الأوامر. وعند ذلك هـاجم المتظـاهرون الفـيلا وحـاولوا اقتحامهم فلم يتمكنوا فقذفوها بالحجارة، وأحدثوا بها تلفيـات

كبيرة وأصيب القوامندان عدة إصابات وإن كانـت بسـيطة وسطحية.

أرسلت وزارة الداخلية قوة لتغيير جميع قوة الحراسـة في الطور ومعها بعض كبار الضباط للتحقيق، وبعد نـزول القوة إلى القاهرة حوكم بعض أفرادها بتهمـة تـزعم قيـادة المظاهرة والاعتداء على قائد المعتقـل، فأصـدر المجلـس العسكري الذي حوكموا أمامه أحكاما قاسية بالسجن والجلـد وقد علمنا أن أحد الجنود قد مات أثناء جلده، وقد علمنـا أن بعض قادة الإخوان المسلمين ممـن كـانوا يسـهرون مـع القوامندان قد أبلغوه أن ما حدث لـه كـان بتحـريض مـن الشيوعيين، وأن العساكر ليس في مقدورهم معرفة اللائحـة وما تحتويه إلا عن طريق الشيوعيين، فأضمر القوامندان في نفسه أن ينتقم منا، خاصة بعد أن أقرت اللجنة التي أرسـلتها وزارة الداخلية إلى الطور بأحقية الجنود في مطالبهم وقررت صرف تلك الحقوق بأثر رجعي وخاصة فيما يتعلـق ببـدل السفر وبفرق التغذية.

حملة الإرهاب:

كان قائد حزائنا الصاغ حميده على جانب كبيـر مـن الأخلاق الفاضلة وكانت كل تصـرفاته تتصـف بالإنسـانية والعمل في إطار وظيفته دون تقصير أو تفنن في إيذاء الناس شأن ما هو معروف عمن يقومون بالعمل البوليسي الرسمي في مثل تلك الظروف. ورغم أنه كان مسلما متدينا. إلا أنه لم يكن متعصبا مغلقا بل كان متفتحا علـى اسـتعداد للنقـاش والبحث، وإن كان يتسم بكثرة الاستماع وقلة الكلام. وكـان أغلب اشتراكه في الحديث بأسئلة نقاشية وفى هـذا الإطـار كانت علاقتنا بالصاغ حميده الذي اجتهد أن يعرف عنا كـل شيء والذي تقرب إلينا كثيرا من واقع تجربته للتعامل معنا.

وفى صباح أحد الأيام ومع تمام الصباح أخطر الصاغ حميده بعض من كان يعرف أن لهم دورا قياديا بيننـا بـأن هناك حملة سيجردها قائد المعتقل علينا اليـوم، وعلينـا أن نضع أعصابنا في ثلاجة وألا نستجيب لأي اسـتفزاز حتـى نفوت الفرصة على عباس عسكر فيما يريده من خلق معركة سنكون فيها نحن الخاسرين. وبعد دقائق وقبـل أن نسـتعد لإخفاء كل ما لدينا مما نحرص عليه وخاصة الكتب والتراجم

والتقارير والمحاضر. كانت كتيبة من عساكر البوليس وعدد من الضباط على رأسهم عباس عسكر تدخل الحزاء وتبدأ في تفتيش الحجرات بهدف رئيسي هو الإرهاب والاستفزاز، وقد قام واحد فقط من الضباط- علمنا فيما بعد أنه من البوليس السياسي- قام بجمع بعض المخطوطات من تراجم وتقارير وتحليلات سياسية. أما الباقون فلم يخرجوا بشيء، وأمرونا أن نقف في طابور من سفين وأحاط بنا الضباط والجنود وكان بعضهم من الهجانة بكرابيجهم السودانية الطويلة. واستمر عباس عسكر أكثر من ربع ساعة في جولة استفزاز أنهاها بتهديدات وشتائم، كان يعلم هو رجال البوليس السياسي أننا لا نقابلها بدون رد قد يكون عنيفا. ولكن أحدا لم يرد وفقا للتوجيهات التي أبلغت للجميع من مسئوليهم وظهرت اللخمة في تصرفات عباس عسكر؛ لأن الأمور لم تسر كما كان يتوقع، فأخذ يوجه الضباط والعساكر للتحرش بنا وضرب بعضنا فلم يستجيبوا، ثم أصدر إليهم أمرا عسكريا صريحا بضربنا فرفضوا التنفيذ. وكان كلما أشار إلى أحدنا وقال: اضربه يا حضرة الضابط. يرد الضابط (ضربته يا سعادة البيه).. موته يا حضرة الضابط. (موته سعادة البيه) ولم ينل

واحد منا ضربة عصا أو صفعة يد.. وكان بين الحملة ضابط من البوليس السياسي بملابسه المدنية وهو وحده الذي استولى على بعض المخطوطات من تقارير وتراجم. وتقدم من كل غرفة ضبطت بها أوراق أحد المعتقلين معترفا بأنها تخصه، فعزلهم القوامندان في غرفة ثم سحب جنوده وانصرف. ولم تنجح كل تحريضات ضابط البوليس السياسي للقوامندان والضباط والعساكر في خلق معركة. وكان الفضل الأول في ذلك هو موقف المعتقلين، وقد استفادوا فيه من ظروف المعركة الأولى في هاكستيب.

ولا شك أن موقف الصاغ حميده وشهامة ورجولة جنود وضباط البوليس والهجانة الذين رفضوا تنفيذ مؤامرة لا مصلحة لهم فيها، كل ذلك كان له دور في إفشال خطة القوامندان والبوليس السياسي.

اللجنة الطبية:

كوسيلة من وسائل الضغط في سبيل الإفراج عنا أرسلنا عرائض بأن حالتنا الصحية قد ساءت نتيجة لسوء التغذية وأرسلنا للعائلات في الخارج لمساندتنا خاصة وأننا

هددنا بالإضراب عن الطعام إذا لـم نرحـل مـن الطـور. وأثارت العائلات الموضوع علـى نطـاق واسـع بزيـارة مجموعات منهم لدور الصحف والمسئولين فـي الحكومـة. وتقديم مذكرات صحتنا في خطر، فأرسلت الحكومـة لجنـة طبية قامت بإجراء الكشف الطبي علينا جميعا. وكان تعاطف الأطباء معنا كبيرا. وأوصت اللجنة الطبية بنقلنا من الطـور تفاديا للأخطار التي تهدد صحتنا. وفعلا كان لتقريرها أثـر في التعجيل بترحيلنا إلى معتقل هاكستيب.

- **معتادي الإجرام والخطرين:**

كان المعتقلون من معتادي الإجرام والخطـرين علـى الأمن قد تم إسكانهم في الجزء الداخلي مـن حزائنـا. وقـد أوجدنا معهم علاقات وفتح الكثيـرون مـنهم قلـوبهم لنـا، واستطعنا معرفة الدوافع الحقيقية لارتكابهم الجـرائم. وقـد قابلت منهم أناسا ذوي ذكاء خارق وأخلاق عالية ورجولة في المعاملة. وتمنيت من كل قلبي أن ينتزع هؤلاء من طريـق الظلام الذي يسيرون فيه لكي يقفـوا فـي صـف الشـعب فيستخدمون ذكاءهم وقوة تحملهم في سبيل تحقيق حياة كريمة عادلة لجماهير الشعب المصري. وقد أقنعتني محاورتهم وما

سمعته منهم بأن الظروف الاجتماعية والاقتصادية هي منبع الجرائم ومعمل تفريخ المجرمين. وقد قال لي أحدهم: إن كل المصائب في هذه الدنيا وكل المعاصي والذنوب التي يرتكبها الناس سببها الفلوس؛ فقلة الفلوس تدفع الرجل للسرقة والاختلاس وقد يقتل ويدفع المرأة إلى الفساد، وقد تبيع عرضها. أما كثرة الفلوس فهي أيضا لها نفس النتيجة وإن كانت من الوجه الآخر، فمن لديه تخمة في الفلوس يدفعه ذلك إلى شراء كل المحرمات بما فيها العرض. وبكثرة فلوسه يحمي نفسه من العقاب وقد يرمي به غيره، إنها فلسفة لكنها بسيطة.

وقد أنشأنا مدرسة لمحو أمية هؤلاء وكانت النتيجة باهرة ومدهشة؛ إذ استطاع بعضهم في نصف سنة ولدرسين فقط أسبوعيا أن يقرءوا الصحف ويكتبوا الأرقام ويقوموا بالعمليات الحسابية البسيطة، وفى صباح أحد الأيام فوجئنا بخبر هروب اثنين من الأشقياء كما كانوا يسمونهم – وبعد يومين من مطاردة رجال الهجانة وقصاصي الأثر لهم أعيدا إلى المعتقل بعد أن أشرفا على الموت عطشا. وقد قامت إدارة المعتقل بتجريد حملة تأديب من عساكر الهجانة الذين

ضربوا المعتقلين بقسوة بالكرابيج خاصة وأن الحرس الـذين كانوا موضع مساءلة عن الهرب كانوا من الهجانة.

- **الترحيل إلى هاكستيب:**

بعد إقالة وزارة إبراهيم عبد الهادي وخلال المعركـة الانتخابية التي أتت بالوفد إلى الحكم وتحت ضغط العـائلات والرأي العام، وكجزء من إجراءات التهدئـة بعـد موجـة الإرهاب العنيفة التي عمت كل البلـد نقلنـا إلـى معتقـل هاكستيب. ورغم أن الفترة التي قضيناها في هاكستيب بعـد عودتنا إليه كانت قصيرة وتلتها عمليات إفراج على دفعـات من المعتقلين، إلا أن مجموعتنا "عمال شبرا الخيمة" ظلت في المعتقل، ورغم كل ذلك فإن جو الانضباط في داخل المعتقل كان قد بدأ في التفكك، وبعد مجيء وزارة الوفد فـي ينـاير ٩٥٠ مرت إشاعات بأن سراج الدين وزير الداخلية قد أعـد منفى مؤقتا في عيون موسى لعمال شبرا الخيمة وبعض من اختارهم البوليس السياسي من المعتقلين الآخرين، وذلك لحين إعداد المنفى الدائم الذي قرر إعداده في الواحات الخارجـة وفى المكان الذي استخدمه الإنجليز منفى لبعض السياسـيين أثناء احتلالهم لمصر.

الإفـراج:

كانت تصريحات النحاس ومرشحي حزب الوفد أثنـاء المعركة الانتخابية لا تخلو من الحديث عن إلغـاء الأحكـام العرفية والإفراج عن المعتقلين السياسـيين. وقـد سـبق أن تحدثت عن نشاط العائلات في هذا الصدد. أمـا نحـن فـي الداخل فكنا نتابع التطورات السياسية من خـلال الصـحف والمجلات وما يصلنا من أخبار مع زيارات الأهالي لبعضنا، وقررنا مقاومة أي ترحيل لنا إلى منفى عيـون موسـى أو منفى الواحات مهما كانت النتائج.

وفى يوم ١٩ فبراير صرح مصطفى النحاس بأنه قـد قرر إلغاء الأحكام العرفية وأن المعتقلات قد صفيت ولم يبق بها معتقل واحد، وكما قامت العائلات في الخارج بالضـغط إلى أن حصلوا من النحاس في صـباح ٢٠ فبرايـر ١٩٥٠ على تصريح بأنه سوف يفرج عنا جميعا اليوم، وفى صباح نفس اليوم كنا نحن في معتقل هاكستيب قد حزمنـا أمتعتنـا وحملناها إلى خارج العنبر بجوار سور الأسـلاك الشـائكة استعدادا للخروج، فحضر إلينا قوامندان المعتقل وطلب منـا ألا نخرج من السلك الشائك، وأن نمهله نصف سـاعة فقـط

ليتصل بالمسئولين، وحضر إلينا ضابط العنبـر بعـد ذلـك ليخبرنا بأن السيارات في طريقها للمعتقل لنقلنا إلى المدينـة خارج الأسوار، غادرنا العنبر وركبنا سيارات البوليس وفي أذهاننا أن كل منا سوف ينزل أمام أقرب مواصلات متجهـة إلى مسكنه وإذا بنا ونفاجأ بإنزالنا في فناء محافظة القـاهرة من الداخل للعرض على ضباط البوليس السياسي، وحـاول الضابط أن يأخذ مني إقـرارا بعـدم الاشـتغال بالسياسـة، فرفضت وحوله إلى إقرار بعدم مخالفة القانون فرفضت وبعد نقاش قصير أخلى سبيلي. وعلمت أن ما حدث معي قد تكرر مع غيري وغادرت مبنى المحافظة فوجدت أن عـددا مـن الأهالي في انتظار ذويهم المعتقلين. وغادرت ميـدان بـاب الخلق في سيارة تاكسي أنا وعبد العليم عمارة وزوجته حيث أوصلتها إلى مسكنها، ثم تابع التاكسي سيره حتى وصلت إلى مسكني في شبرا البلد.

الخواتيم:

أشرت في بداية حديثي عن معتقل هاكستيب والطـور على الظروف والمقدمات التي أوصلتنا إلى هذا المعتقل. وفي النهاية ولكي يكون الحديث متكاملا فلابد أن يكون الحـديث عن الظروف والعوامل التـي أدت إلـى تصـفية المعتقـل وخروجنا إلى عالم الحرية. فبعد مقتل محمود فهمي النقراشي رئيس وزراء مصر الذي أعلن الأحكام العرفية وحل جماعة الإخوان المسلمين وتوسع في حملات الاعتقـال والإرهـاب والتعذيب بشكل أشاع الرعب في النفوس وخاصة بعـد مـا أشيع عن العسكري الأسود الذي كان يرتكب الفاحشـة مـع الرجال ويعتدي على البنـات والسـيدات أمـام أزواجهـن وإخوانهن لإجبارهم على الاعتراف ولـو زورا بغيـر مـا ارتكبوا.

ومع زيادة الكبت زاد التذمر، وكل ضغط في النهايـة لابد أن يؤدي الانفجار، ووضع كـل إرهـاب مـن جانـب الحكومة يقابله إرهاب من الإخوان الذي يتصاعد نتيجة لـه إرهاب الحكومة فيتصاعد في المقابل إرهاب الإخوان فحتـى

في قمة الإرهاب الأسود في هذه اللحظة جرت محاولة من جانب الإخوان المسلمين لاغتيال محمد حامد جودة رئيس مجلس النواب. وكل ذلك كان ينعكس على الشارع المصري والأسر المصرية التي أصبحت كل منها وقد أضيرت لاعتقال فرد منها أو قريب. ولعبت الأهواء والانتقامات الشخصية دورها في توسيع أرضية الاعتقال. أما الشيوعيون والديمقراطيون من وفديين وغير وفديين فلم يستخدموا أي نوع من العنف، وبالتالي لم يتعرضوا لما تعرض له الإخوان من تعذيب بهدف إجبارهم على الاعتراف.

وقد وضح مع بداية النصف الثاني من عام ١٩٤٩ أن الرجل أوشك أن يصل إلى أقصى قوة احتماله، الأمر الذي خلق عنصرا جديدا من الخطر شعر به الملك والإنجليز من جانب واستغله حزب الوفد من الجانب الآخر، وهنا بدأ الحديث عن ضرورة التغيير.. كانت البداية حديثا عن انتخابات جديدة لتكوين مجلس نواب جديد يؤدي إلى تفريغ الشحنة قبل الانفجار الذي قد تفلت السيطرة عليه من النظام كله. فمعروف عن الشعب المصري تاريخيا أنه صبور ومتحمل لدرجة قد يظهر فيها فاقد الحياة ولكنه إذا انفجر لا

تستطيع قوة أن تحول دون حدوث التغيير الذي يريده؛ ولهذا كان حديث الأقلية المشتركة في الحكم عن تقسيم الدوائر فيما بينها على أساس تخصيص ١١٦ دائـرة مقفلـة لكـل مـن الحزبين السعدي والدستوري على أن يكون الترشيح في باقي الدوائر وعددها ٨٧ دائرة مفتوح للجميع[١].. وأما الوفد فقـد أعلن رئيسه مصطفى النحاس في حديثـه عـن الانتخابـات القادمة بأنه قد ادخر جنود الحرية والكرامة لهذا اليوم. وأعلن أنهم قد عقدوا العزم أن تكون المعركة الانتخابية معركة دفاع صادق عن الحق والحرية، ولن يدخروا فيها كما ولا كيفـا. ولا يضنون بتضحية مهما غلت، فإما جرت حـرة سـليمة، وإما جرت بالزيف والبطلان عبر بحر من الدماء[٢].

وأما السراي والملك فكانت تبحث عن طريق آخر. لا هو ما تريده أحزاب الأقلية، ولا هو ما يريده الوفد؛ ولهذا فقد كان رجلها -وهو حيدر باشا- هو حصانها في المعركة، وقد نشر أنه كان قد شرع فعلا في تأليف وزارة جديدة علـى أن

---

[١] صوت الأمة ١٩٤٩/٧/١٥

[٢] صوت الأمة ١٩٤٩/٧/١٦

تكون الوزارة كلها من المستقلين ولا تشترك فيها الأحـزاب وعلى أن يتولى فيها وزارتي الداخليـة والحربيـة بجـوار رئاسته للوزارة[٣].

وظهر على السطح حزب مصر الفتاة الذي كان رئيسه قد أعلن الاعتكاف. فأصدر عدة بيانات تضمنت بأنه سـوف يقاطع الانتخابات القادمة. وطالب برفع الأحكام العرفية ومـا يتبعها من الإفراج عن المعتقلين. وفـى يـوم ١٩٤٨/٨/١٥ أعلن تغيير اسم مصر الفتاة إلى حزب مصـر الاشـتراكي الديمقراطي.

وأما انجلترا التي كانت تتحكم في سياسة البلاد التـي تسيطر عليها لدرجة كان معها من المستحيل أن يتم شيء من التغيير رغم إرادتها إلا نتيجة لتحركات شعبية تهدد مصالحها وتضطرها إلى الوضوح، فقد رأت أن تعمل على إيجاد حالة من الهدوء في الشرق الأوسط كي تحقق أغراضـها وتبـرم المعاهدات مع الدول العربية؛ ولهذا عقدت مؤتمر لمبعوثيهـا انتهى إلى المطالبة بحكومات شعبية في الشـرق الأوسـط.

---

[٣] صوت الأمة ١٩٤٩/٧/١٦

وأمر بأن الإصلاحات الاجتماعية أقوى أثرا مـن التـدابير العسكرية[1].. وبذلك كانت الظروف مهيأة تمامـا للتغييـر، فصدرت مراسيم تشكيل وزارة مؤتلفة برئاسة حسين سـري الذي احتفظ بوزارتي الداخلية والخارجية، وضمت الـوزارة أربعة من كل من حزب الوفد وحـزب السـعديين وحـزب الدستوريين واثنين من الحزب الوطني، وخمسة من المستقلين كان من بينهم رجل السراي الفريق محمد حيدر الذي تـولى وزارة الحربية والبحرية[1].

وقبل أن يمر الأسبوع الأول على تشكيل الوزارة كون رئيسها حسين سري لجنة وزارة الداخلية لبحث دوسـيهات المعتقلين وعرض نتيجة البحث للنظر في إفراج عند الـذين تكون حالتهم مبررة للإفراج.. وبدأت مشكلة المعتقلين تأخـذ طريقها إلى العلانية والصحف بعد أن كانت مكتومـة فـي قلوب الأمهات والزوجات وفى عيون الأبناء والبنات، وبدأت الصحف تنشر المقالات مطالبـة بسـرعة تحديـد موقـف

---

(1) صوت الأمة ١٩٤٩/٧/٢٥

(1) صوت الأمة ١٩٤٩/٧/٢٧

المعتقلين، فإما أن يكونوا مدنيين فيحالون إلى النيابة، وإما أن يكونوا أبرياء فيفرج عنهم فورا، وبدأت مع حركة الشـارع المصري المعبرة عن السخط على عهـد الإرهـاب ووزارة إبراهيم عبد الهادي والترحيب بالوزارة الجديـدة وسـارت المظاهرات تهتف بسقوط عبد الهادي كلاب الوادي، وبـدأت مظاهرات العمال تجوب الشوارع هاتفة للحريـة ومطالبـة بإلغاء الأحكام العرفية، وبدأت الطوائـف تتقـدم بمطالبهـا للمسئولين، وكمثال ما تقدم به ١٥٠٠ ممـرض كـانوا قـد فصلوا من عملهم في عهد الوزارة السابقة بتهمة الإضـراب والإخلال بالأمن رغم أن القضاء قد برأهم، فطالبوا بعودتهم إلى أعمالهم[١].

وفى نفس الوقت كانت أمهات وزوجـات المعتقلـين ويخرجن في مظاهرات تطوف الشوارع وتمـر علـى دور الصحف وتزور كبار السياسيين في نواديهم ومنازلهم وكـان من الطبيعي أن تكون مقابلتهن حسنة وأن يحصلان على وعد بالإفراج عن المعتقلين. فرغم أن نتيجة المعركة الانتخابيـة

---

[١] صوت الأمة في أغسطس ١٩٤٩.

كانت معروفة مقدما بانتصار الوفد بعد أن تحملت حكومـة الأقلية وزر ما ارتكبته الحكومة السـابقة مـن آثـام. إلا أن الجميع كان في حاجة إلى التودد إلى مختلف طوائف الشعب أملا في كسب تأييدها الجماهيري وبدأت أفواج عن المعتقلين الذين كان عددهم قد وصل طبق الإحصاءات الرسمية إلـى أكثر من ٢٥٠٠ معتقل على دفعات، وأخلي معتقل الطور من نزلائه حيث أفرج عن بعضهم ونقل البـاقون إلـى معتقـل هاكستيب، وفى نفس الوقت تطور الموقف من المعتقلين على صفحات الجرائد إلى الحديث عن التعذيب الذي تعرضوا لـه وارتفعت الأصوات مطالبة بالتحقيق مع من اقترفوا جـرائم التعذيب. وكمثال أشارت الصحف إلى رئيس الحسابات الذي طلب من متعهد توريد الأغذية للمعتقلين مبلغ خمسمائة جنيه رشوة. مما يشير إلى الأرباح غير القانونية التي كان يحصل عليها بمساعدة موظفي وزارة الداخلية، وضمن ما جاء فـي مقال المحامي على عبد العظيم "حتى يعلم كـل مـن ولـي سلطانا ما، أنه لا عاصم له إذا هو انزلق مع هواه؛ لأنه لابد من يوم الحساب وإن خاله بعيدا لا يطوف بخيال".

وقد خصصت جريدة الكتلة بابا بصـفة شـبه يوميـة بعنوان "صرخات من بين قضبان المعتقلات" رسائل تعرضها على أنظار المسئولين" وقد نشر في هذا البـاب عـدد مـن الشكاوى منها الفردية والجماعية سواء من المعتقلـين بـين الأسوار أو من عائلات المعتقلين، ومن المهم هنا أن أشـير وبإيجاز شديد إلى نماذج من تلك الشكايات ومن الموضوعات الرئيسية التي تضمنتها بعض تلك الشكايات.

* من وراء الأسلاك الشائكة ومـن خلـف قضـبان السجون الباردة وتحت إرهاب الحكم العسكري الظالم نبعـث إليكم بهذه الصيحة. لقد ضـربنا بالرصـاص فـي معتقـل هاكستيب، وعوملنا معاملة وحشية. ونفينا إلـى منفـى فـي الطور السحيقة، وانخفض ثمن وجبات الطعام اليوميـة مـن ٣٧٥ مليما في اليوم إلى ٥٣ مليما، ومنعنا من رؤية عائلاتنا وأولادنا منعا باتا. وحتى الكفالات التـي كانـت تصـرف لعائلاتنا المشردة التي حرمت من عائلها، حتى هذه الكفالات خفضت من ستة جنيهات إلى ثلاثة ثم إذا بها تلغـى تمامـا. وبذا لم يعد لعائلاتنا إلا أن تموت جوعـا وإلا أن تشـرد – (١٩٤٩/٩/١).

* قام عباس عسكر قوامندان معتقل الطـور بحملـة تفتيش وإرهاب على المعتقلين واختار ثلاثة مـنهم بالقرعـة وهم "محمد شطا وشحاتة عبد الحليم وعبد المـنعم الغزالـي وأمر القوامندان بألا نفتح عليهم الأبـواب إلا سـاعة فـي الصباح وفى المساء لقضـاء حـاجتهم وتنـاول طعـامهم (٩٤٩/٩/٨ صـ ٥) وكانت الحكومة قد نشرت شبكة مـن الجواسيس حول جميع المعتقلين يتزعمهم أحد هؤلاء ممـن يشتغل في قلم المخابرات البريطانية واسمه ألبير تادرس.

* صورة لأحد المعتقلات وهو معتقل عيون موسـى وتتلخص ظروفه في الآتي:

١- مقادير الأغذية وعناصرها لا تكفـي مطلقـا لطعـام المعتقلين ويبدو أن المقصود بها فعلا هـدم كيـانهم ماديا وأدبيا.

٢- المياه تصل بسيارات الجيش البريطاني للمعتقلين حيث توضع في حوض كبير يستقي منه المعتقلون كـأنهم حيوانات.

٣- دورات المياه بالمعنى المعروف غير موجودة. وقـد وضعت بدلها جرادل قذرة والمقصود هـو أن يقـوم

المعتقلون بحفـر الأرض وإفـراغ محتويـات هـذه الجرادل بها.

٤- لا توجد مغاسل ولا مرافق صـحية ولا اسـتعدادات طبية ولا صيدليات ولا أطباء .. إلخ.

٥- الإرهاب هو القانون الذي يسود العلاقات بين المعتقلين وبين سجانيهم من رجال البوليس وعمـلاء البـوليس السياسي (الجستابو).

٦- المعتقل سجن محكم تسـيطر عليـه العزلـة التامـة والانقطاع عن العالم فلا زيـارات ولا اتصـال ولا صحف (١٩٤٩/٩/١٠ صـ ٥).

وقد ضم معتقل عيون موسى ٤٥٠ معتقلاً منهم ١٥٠ (تجار وأصحاب مهن حرة وموظفون بالشركات والمحـلات التجارية)، ١٥٠ (مدرسو ثانوي وابتدائي وتعليم حر)، ١٠٠ (أساتذة جامعة وصحفيون وضباط فـي البـوليس والجـيش وكبار موظفين)، ٥٠ (عمـد وأعيـان وأعضـاء مجـالس مديريات).

أما التغذية في معتقل عيون موسى، فالإفطار يتكـون من ورقة دقة + ٤٢ درهم عدس أو فول، والغذاء يتكون من

٤٦ درهم خضار عادة مطهي بالزيت + ٤٠ درهم خضـار فجل أو جرجير أو كرات + ٤٠ درهم لحم خشن بالعضم + ٢٥٠ درهم خبز بلـدي + ٢٦ درهـم أرز أربـع مـرات أسبوعيا.

أما عائلات المعتقلين فقد تعددت شكاواهم فـي هـذا الباب منها الصرخة من النبأ الذي نشرته بعـض الصـحف ويتلخص في أن وزارة الداخلية قد أوفدت بعـض رجالهـا للإشراف على نقل خمسمائة معتقل من الطور بعضهم إلـى عيون موسى والبعض الآخر إلى هاكسـتب حتـى يخلـوا أماكنهم للحجاج عند عودتهم، ومعنى ذلك أن النية قد اتجهت إلى إرجاء النظر في الإفراج عن عدد كبير مـن المعتقلـين فترة جديدة تمتد إلى ما بعد انتهاء موسم الحـج فـي شـهر نوفمبر المقبل، ولقد وقع هذا الأمر وقع الصاعقة على أهـل المعتقلين وفيهم آباء وأمهات وأخوات وزوجات وأبناء وبنات استبدت بهم جميعا الأحزان، وأثر فيهم طول البعاد من جميع الوجوه، فإلى دولة الحاكم العسكري العام وإلـى أصـحاب المعالي أعضاء اللجنة الوزارية نتوجه بالرجـاء الحـار أن تتصرف جهودهم للإفراج العاجل عن جميع المعتقلين الـذين

لم تثبت إدانتهم قضائيا، ونسأل الله أن يوفقهم لخدمة الـبلاد في ظل مليكنا فاروق (١٩٤٩/٩/١ صـ ٥).

من أسر المعتقلين وبجوار الشكايات الجماعية من أسر المعتقلين. كانت هناك أيضا شكايات فردية منها شكوى مـن عائشة أحمد فهمي والدة الآنسة فاطمة زكي المدرسة بكليـة البنات بالزمالك والتي كانت متهمة في قضية الشيوعية التي عرفت بقضية (الفيلا) ثم صدر قرار بحفظ القضية ولكنهـا بقيت رهن الاعتقال حتى الآن دون مبرر. وشكوى أخـرى من زوجة طه محمد الذي اعتقل في ١٩٤٨/١١/٧ وحقـق معه وأفرج عنه بكفالة عشرة جنيهات، وأحيل إلى المعتقـل، وشكوى من هانم حماد الباجوري زوجة عامل النسيج علـي خليل ومن عبد المنعم إبراهيم محمد السكرتير السابق لنقابـة عمال شركتي الغزل الأهلية والمنسوجات المصرية والمعتقل بأبي قير: وكانت حالة بعض من أُفرج عنهم لا تقـل سـوءا عن حالة من ظلوا في المعتقل وخاصة من تعرضـوا مـنهم لاضطهاد رجال البوليس السياسي، فبدءوا بتقـديم شـكاياتهم على صفحات الجرائد، وكان منهم الموظفون الذين شـردوا

وأبعدوا إلى أماكن بعيدة عن محل إقامتهم بناء على طلب إدارة الأمن العام.

وبالإضافة إلى ذلك فإن المصالح التي يعمل بها هؤلاء الموظفون قد رفضت معاملتهم معاملة المعتقلين أو أسر المعتقلين، من حيث تنفيذ قرار الحاكم العسكري بصرف مرتبات يوليه وأغسطس ونصف شهر من المتأخر لأسر المعتقلين الذين ما زالوا في المعتقل، وذلك بحجة عدم ورود تعليمات للمصالح من وزارة المالية، وبعد أن أشاروا إلى اشتراط إدارة الأمن العام نقلهم بعيدا عن مقر عملهم قال فريق منهم لم يسبق له الاشتغال بالسياسية: "نريد أن تطمئنونا على مصيرنا ومستقبلنا؛ فإننا الآن وكنا من قبل بعيدين كل البعد عن أي نشاط سياسي أو اجتماعي أو ديني، فهل حقا ما يشاع من أنه لو قامت حرب عامة لعاد أولوا الأمر إلى اعتقالنا مرة أخرى رغم خلودنا إلى أسرنا في عزلة تامة عن كل مجتمع، ما دام قد أصبح لنا ملفات في القلم السياسي. نريد اطمئنانا".

ونتيجة لازدياد الضغط على الحكومة الائتلافية من أجل الإفراج عن المعتقلين، اتسعت حركة الإفراج ونشطت

اللجنة رغم ما كان واضحا من محـاولات كبـار مـوظفي وزارة الداخلية لتعطيل عملية الإفراج حتـى أصـبح عـدد المعتقلين لا يزيد عن ٢٢٠ شخصا فـي ١٩٥٠/٢/١ كمـا صرح بذلك وزير الدولة حامد الذي أكد أنه سـيتم الإفـراج عنهم على إثر صدور المرسوم بإلغاء الأحكام العرفية.. وفي نفس الوقت كان وضع الانفراجة ينعكس على الدول العربية الأخرى – فرأينا سوريا تصدر بلاغا رسميا بإلغاء الأحكـام العرفية التي أعلنت بمرسوم في ١٩٤٨/٥/١٤ وتفرج عـن ١٧٥٠ معتقلا بعد أن تم توقيع الهدنة الدائمة بـين سـوريا واليهود.. وكذلك رأينا الأمير عبد الله الوصي على عـرش العراق، يصرح أنه سيسافر إلى لندن ليبحث مع المسـئولين في وزارة الخارجية البريطانية موقف الحكومة العراقية مـن البلاد العربية الأخرى بعد أن اشتدت حالة التوتر بينها، ممـا يؤكد أن الحكومة البريطانية بعد أن حققت أهدافها من ضرب الحركات الوطنية في العالم العربي كله. وبعد أن خشيت من تصاعد التذمر الشعبي وآثاره عملـت علـى تهدئـة الجـو مستعينة بأنصارها وعملائها من الحكام والسياسيين العرب. ومن المؤسف أن صحف الوفد وتصريحات رجاله السياسيين

وعلى رأسهم مصطفى النحاس التي كانت تتخذ من قضـية المعتقلين ومهاجمة الأحكام العرفية وكبت الحريـات وسـيلة للهجوم على وزارة إبراهيم عبد الهادي وما كـانوا يسـمونه "العهد البائد".. وبعد أن تحددت نتيجة الانتخابات التي أجريت في ٣ يناير ١٩٥٠ بفوز الوفد الساحق بأغلبية أعضاء مجلس النواب.

ورغم أن المعتقلين السياسيين الأحرار قد أرسلوا برقية إلى مصطفى النحاس يعلنون فيها افتخارهم بمساهمتهم رغم اعتقالهم في إسقاط العهد البائد ويهنئـون رفعتـه والشـعب المناضل بالنصر الباهر على أعداء الشعب ويطالبون الوفـد المصري بإلغاء الأحكام العرفية والمعتقلات فورا، وإلغاء ما أصدرته المحاكم العسكرية من أحكام فـي قضـايا الـرأي وعرضها من جديد على القضاء الوطني وتعويض المعتقلين جميعا عما أصابهم نتيجة جرائم العهد البائد (صوت الأمـة ١٩٥٠/١/٨ ص٢).

رغم كل ذلك فإننا رأينا الوفد؛ سواء في ذلك صحفه أو رجال سياسته، يقفون موقفا مغايرا بل ومعاكسا فـي بعـض الأحيان لموقفهم السابق. فقبل انتهـاء الأسـبوع الأول مـن

انتخابات المرحلة الأولى أذاع مصطفى النحاس نـداء إلـى الأمة المصرية الكريمة يدعوها فيه إلى الهـدوء والسـكينة وترك المظاهرات ثم ينهي نداءه بقوله: "فنصـيحتي إلـيكم خالصة صادقة أن تتركوا التظاهر وأن تنصرفوا عن تنظـيم المعركة، وتخلُدوا إلى السكينة، وأن يركن كـل مـنكم إلـى عمله، فتقدموا بهذا أكبر خدمة لبلادكم الذي أحببتموه وأحـبكم وتهيئون له أكبر فرصة للعمل على إسعاده وتحقيق أمانيه في الحياة الحرة الكريمة في ظل جلالة الملك المفدى حفظـه الله وأعز ملكه (صوت الأمة ٩٥٠/١/٩ ص ١).

وبعد أن ألف مصطفى النحاس وزارته في ١٣ ينـاير ٩٥٠ وعين فيها فؤاد سراج الدين وزير الداخلية بدا الخـط الجديد المعادي للحريات الديمقراطية يظهر علـى السـطح وعلى نقيض كل ما أذاعه الوفد وهو خارج الحكم . فرأينـا الاجتماعات التمهيدية لإلغاء الأحكام العرفية لم يشر فيها إلى الموقف من المعتقلين بل وقد أشير إلى أن تشريع الجمعيات الذي سيصدر سيشمل في طبيعته مقاومة المبادئ الهدامـة. وهو الشعار الذي استخدمته الرجعية المصرية وأعداء الشعب على طول مرحلة تاريخنا الحديث كسـتار خـادع لضـرب

حركة الشعب الوطنية الديمقراطية المعادية للاستعمار وأعوانه.

ورغم أن الحكومة أعلنت في خطاب العرش أنها قررت إلغاء الأحكام العرفية – ورفعت فعلا كل رقابة على الصحف والمطبوعات وأخذت في الإفراج عن المعتقلين لتنقل البلاد من الحالة الاستثنائية القائمة إلى حالة طبيعية قوامها الأمن والحرية والمساواة في ظل الدستور وأحكام القانون العام، وتؤمن الحكومة بأن هذه الحالة الطبيعية المستقرة خير كفيل بتحقيق التضامن والتعاون والثقة بين المحكومين والحاكمين للأخذ في تنفيذ الإصلاح الاجتماعي لخير الأمة بجميع طبقاتها وطوائفها، وبخاصة أبناؤها الفقراء من الفلاحين والعمال.

رغم كل ذلك، فإن الرجعية المصرية استماتت في القتال شبرا شبرا، بل وكلمة كلمة في سبيل الإبقاء على خميرة من جذور الأحكام العرفية ومنها الإبقاء على حجز عدد من المعتقلين –كما أشيع– من عمال شبرا الخيمة أملاً في أن يكون ذلك هو البئر الذي يلقي فيه كل الوطنيين والديمقراطيين من جديد، ويكون السكين الحاد الذي تقطع بها

أوصال حركة الجماهير الشعبية المتطلعة إلى الحرية والعدالة الاجتماعية.

ونشط أعوان سراج الدين في بث الرعب في نفـوس عائلات المعتقلين الذين طالبوا رجال الوفد بتنفيـذ وعـودهم بإلغاء الأحكام العرفية وغلق المعتقلات، فانتشرت شـائعات بأن وزارة الداخلية قد قررت نفي خميـرة المعتقلـين إلـى الواحات الخارجة ومعهم عائلاتهم ليعملوا هناك بصفة إقامة دائمة وعليهم أن يستصلحوا الأرض ويزرعوها ليعيشوا وكل ذلك تحت حراسة البوليس.

وقد تأكدت تلك الشائعات عنـد عـائلات المعتقلـين وغيرهم من الوطنيين عندما نشـر تقريـر لجنـة النـواب التشريعية عن مشروع إلغاء قانون الأحكام العرفية والـذي تضمن -وقتئذ- ما سمي "قانون المشبوهين السياسيين" والذي نص على ما يلي:-

"يجوز لوزير الداخلية خلال سنة من تاريخ العمل بهذا القانون، وبقرار مسبب ينشر في الجريدة الرسـمية، ويعلـن بالطريق الإداري أن يعتبر كل شخص سبق اعتقاله لأسـباب تتعلق بالأمن العام أو سلامة الدولة في المدة من ١٣ مـايو

١٩٤٨ إلى تاريخ العمل بهذا القانون -مشتبها فيه؛ ويوضـع لذلك تحت مراقبة البوليس مدة لا تتجاوز السنة المـذكورة، ويطبق في شأنه حكم المادة التاسـعة مـن القـانون رقـم ١٩٤٥/٩/١ الخاص بالمشردين والمشتبه فيهم، ولكـل مـن اعتبر مشتبها فيه -طبقا للقرار المذكور بالفقرة السابقة- أن يطلب رفع حالة الاشتباه والمراقبة عنه بطلب يقدم إلى رئيس محكمة الاستئناف الكائن في دائرتها محل إقامتـه الأصـلي خلال شهر من تاريخ إعلانه بقرار وزير الداخلية، ويتـولى الفصل في هذا الطلب في جلسة غيـر علنيـة وفـي مـدى أسبوعين إحدى دوائر الاستئناف المذكورة، وذلك بعد سماع أقوال النيابة العامة. ولصاحب الطلب أن يوكل محاميا للدفاع عنه، ويجوز لوزير الداخلية دائما رفع المراقبة المنصـوص عنها في الفقرة الأولى كلها أو بعضها إذا كان فـي سـلوك المراقب أو في ظروفه أو في حالته الصحية ما يستدعي ذلك (صوت الأمة ١٩٥٠/٢/١٦ ص٢).

وواضح من النصوص السابقة تلك الرغبـة الشـريرة للإبقاء على أعناق كل من سبق اعتقاله في قبضـة وزيـر الداخلية. وكان من المستحيل على الشعب المصري أن يقبل

سريان مآسي الأحكام العرفية لمدة سنة أخرى قد يتجدد تحت أي اسم وبأي مبررات خاصة وأن الشعب قد تعود من حكامه على ذلك، وأقرب التجارب له في ذلك إعلان الأحكام العرفية لمدة سنة من ١٥ مايو ١٩٤٨ ولكنها جددت عـدة مـرات. ولهذا هبت طوائف الشعب كلها ضـد قـانون المشـبوهين السياسيين، وللحقيقة والتاريخ فقد كان للطليعة الوفديـة دور بارز في تحريك جماهير الشعب المصري ضد القانون بكافة الوسائل التي كان أكثرها فاعلية تلك المظـاهرات الضـخمة التي جابت شوارع القاهرة والتي كانت غالبا ما تنتهي عنـد النادي السعدي مقر رئاسة حزب الوفـد مطالبـة النحـاس ورجال الوفد المخلصين من الوزراء والنواب وغيرهم بدفن قانون المشبوهين السياسيين في بئر بغير قرار.

وكان طبيعيا أن تكون الأحزاب المعارضة للوفد أكثر جرأة وعنفا في مقاومة مبدأ الاشتباه السياسي بالإضافة إلـى كافة الهيئات والشخصيات، من ذلك عـدة بيانـات نشـرتها الصحف لأحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي والتي قـال في إحداها: إن الحزب لا يسعه إلا أن يصف القانون المقترح بأنه تنظيم للأحكام العسـكرية واسـتبدل تشـريعات دائمـة

بتشريعات كانت مؤقتة، ذلك أن البلاد لم تجاهد فـي سـبيل إلغاء الأحكام العرفية من أجل انتقال حق الحاكم العسـكري في مراقبة الأشخاص إلى سلطة وزيـر الداخليـة، وكـذلك استمرت جريدة الكتلة في مهاجمة المادة السادسة من مشروع قانون إلغاء الأحكام العرفية والتي كان يطلق عليها "قـانون المشبوهين" ونشر بيانات المعتقلين وعائلاتهم[1].. ونشر مقال لأحمد جمال الدين بعنوان "افتئـات علـى الحقـوق وتقييـد للحريات" جاء فيه أن الوزارة قد جاءت لتبتدع ما هو شر من الاعتقال "الاشتباه السياسي" لتجعل شعب مصر بـدعا بـين الشعوب، وتعطي لنفسها الحق بأن تعامل من تراه -ولو كان من أرقى طبقات المجتمع ثقافة وأعظمها إخلاصا- معاملـة المشبوهين والمشردين.. وما الحل؟ ليس هناك إلا واحد مـن أمرين: إما أن تعرف الحكومة خطأها وتعدل عنه، والرجوع إلى الحق فضيلة، والخضوع لإرادة الشعب واجـب عملـي على كل حكومة، والمحافظة علـى روح الدسـتور وعـدم الانتقاص منه أمانة في عنقها فترفع قيود المـادتين؛ الثانيـة

---

[1] الكتلة من أول يناير حتى ٢١ فبراير ١٩٥٠.

والسادسة. وإما أن تصر عليه وتستكبر، وعندئذ فعليهـا أن تعلم أن في البلاد أحرارا لا يخافون، ويحاربون حتى آخـر أنفاسهم في سبيل دسـتور الـبلاد الأساسـي، ولا يقبلـون الانتقاص من حقوقهم الطبيعة التي بني عليها الدسـتور ولا يعترفون بالخطأ ولو كان مسجلا في قانون، فإن الحكومة لا تستطيع أن تجعل من الظلم عدلا. والبقاء للأصـلح والحكـم للتاريخ..!!

وقدم سبعون محاميا طلبا إلى النقيب بدعوة الجمعيـة العامة للمحامين إلى اجتماع غير عادي تنظـر فيـه مـدى قانونية التشريعات الاستثنائية الجديدة التي تهدف إلى فرض قيود عرفية بقوانين يصدق عليهـا البرلمـان – ولـم يكـن المعتقلون والمسجونون والسياسيون بعيدين عن المعركة. فقد أضرب في معتقل هاكستيب فوجان؛ بدأ الأول في ٢٨ يناير ٩٥٠ والثاني في ٣١ منه وقـدموا مـذكرات إلـى رئـيس الوزراء والحاكم العسكري العام، وكـذلك قـدم المعتقلـون السياسيون بمعتقل أبـي قيـر بالإسـكندرية والمسـجونون السياسيون بسجن مصر وسجن الحضرة بالإسكندرية، قدموا جميعهم مذكرات كانت تنتهي بالمطالبة بإلغاء الحكم العرفـي

وإطلاق سراح المعتقلين فورا، وعدم إصدار تشريعات جديدة تحد من الحريات، وإلغاء المحاكم العسكرية وتحويل جميـع القضايا إلى المحاكم العادية وإعـادة النظـر فـي الأحكـام الصادرة من المحاكم العسكرية.

وفي نفس الوقت كانت عـائلات المعتقلـين تطـوف بالصحف ودور الحكومة للمطالبـة بعـدم إصـدار قـانون المشبوهين السياسيين، وبالإفراج عن جميع المعتقلين فـورا. وقدمت بذلك مذكرات إلى دار الرياسة ودار البرلمـان ودور الصحف (الأهرام ١٩٥٠/٢/٢٠).

ووقف ضد التشريعات الاستثنائية عدد كبير من نواب حزب الوفد، وهو حزب الأغلبية، ووقفوا ضده عند المناقشة في مجلس النواب وخارج قاعة المجلس.

وأمام هذا الإجماع الشعبي اضطرت الحكومـة إلـى التراجع. واضطر فؤاد سراج الدين وزيـر الداخليـة والأب غير المشكور للقانون والمدافع عنه. اضطر إلى أن يقف في مجلس النواب ويعلن تنازل الحكومة عن مشـروع مراقبـة المعتقلين. وقوبل ذلك بتصفيق حاد وحار من اليمين واليسار في المجلس. كما صفقت له قلوب ملايين من شعب مصـر

بعد إعلانه وصدور قانون إلغاء الأحكام العرفية خاليـا مـن المادة السادسة في المشروع المقدم من الحكومة، والتي كانت تتضمن الاشتباه السياسي، ولم تكن حـرارة التصـفيق فـي حقيقتها للوفد كحزب، ولا لسـراج الـدين كمعلـن لتنـازل الحكومة، وإنما كان التصفيق في جوهره لذلك النصر العظيم الذي حققه شعب مصر وفئاته الوطنية الديمقراطية والتقدمية على محاولات ومناورات كل الرجعيين وأعداء الشعب.

ولم يكن لرجال البوليس أن يدعوا تلك الانطلاقة التي بدأت نحو الحريات والديمقراطيـة تمـر دون أن يحـاولوا عرقلتها؛ ففي الوقت الذي كانت فيه الحكومـة تفـرج عـن المعتقلين على أفواج. وكان الضغط الشعبي متزايدا لإلغـاء الأحكام العرفية وتصفية المعتقلات، في نفس تلك الظـروف قام البوليس السياسي باعتقال عـدد مـن شـباب الحـزب الاشتراكي بحجة أنهم خَطِرون على الأمن مما دفع الحـزب إلى الاجتماع ومطالبة النواب باتخاذ الإجراءات التي تحـول دون تكرار ذلك.

كما قام البوليس فـي السـاعة الثالثـة مـن صـباح ١٩٥٠/١/٢٧ بحملة تفتيشية واسعة النطـاق علـى منـازل

عمال النسيج في شبرا الخيمة، وقد اعتقل أكثر من عشـرين عاملا منهم أحمد سالم وعبد الرحمن أبو عوف وعزب شطا ومحمد عبد الغفار وآخرون. وعندما شاع الخبر بين العمـال قدموا احتجاجا إلى وزارة الداخلية على هذا التصـرف مـن قبل البوليس بعد أن ظن الناس أن عهد الإرهاب قد انتهـى وزال.

وهكذا كانت -وما زالت وستظل- معركـة الحريـة والديمقراطية معركة دائمة ومتجددة بـين الشـعب وأعـداء الشعب، وهي معركة في حاجة مستمرة إلى الصبر والتحمل وتقديم التضحيات. ورحم الله شوقيا الذي قال:

وما نيلُ المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غِلابا

كتب في ١٩٥١. طه سعد عثمان

صدر للمؤلف

١- نبذة تاريخية عن حياة المناضل فضالي عبد الجيد ١٩٤٥.

٢- نضال عمال النسيج الميكانيكي في القاهرة ١٩٤٥.

٣- محاضر اللجنة الوزارية لبحث مطالب العمال ١٩٤٧.

٤- من وحي الكفاح الخالد في بورسعيد الباسلة (شعر وزجل) ١٩٥٦.

- سلسلة كتب ومذكرات ووثائق من تاريخ عمال مصر.

٥- الكتاب الأول عن كفاح عمال النسيج ١٩٨٣.

٦- الكتاب الثاني عن العمال والانتخابات البرلمانية ١٩٨٢.

٧- الكتاب الثالث عن الطبقة العاملة والعمل السياسي ١٩٨٨

٨- الكتاب الرابع عن وحدة الحركة العمالية في مصر والعالم ١٩٩٤.

٩- محمد يوسف المدرك في ذكراه (كتيب نشره حـزب التجمع) ١٩٧٨.

١٠- مائة عام من النضال في ذكرى عيد العمال العـالمي ١٩٨٩ (مع آخرين).

١١- البرامج العمالية في الانتخابات النقابية ١٩٨٧.

١٢- الحركة النقابية المأزق والحل (مع آخرين) ١٩٨٧

١٣- التنظيم النقابي ومهام المرحلة المقبلة ١٩٩١

١٤- حول استقلالية الحركة العمالية (مجموعة مقالات مع آخرين) ١٩٩١.

١٥- أحوال العمال قبل قانون قطـاع الأعمـال وبعـده ١٩٩١.

١٦- خميس والبقري يستحقان إعادة المحاكمة ١٩٩٣.

١٧- شهادات واقعية (نقابيون واشتراكيون يتكلمون) سـنة ١٩٩٧.

١٨- صوت سجين (مجموعة شعر وزجل) ١٩٩٧.

١٩- الإضرابات في مصر زمن الأربعينيات ١٩٩٨.

٢٠- من وحي المعارك (مجموعة شعر وزجل) ١٩٩٨.

٢١- لمحات من مسيرة عامل مشاغب (عطية الصيرفي تحرير) ١٩٨٨.

٢٢- الصحافة العمالية في الأربعينيات ١٩٩٩.

٢٣- من تراث محمد يوسف المدرك ٢٠٠١

٢٤- من مسيرة كفاح يوسف درويش ٢٠٠٢

٢٥- استقلالية حركة الطبقة العاملة تنظيميا وكفاحيا ٢٠٠٣